مهد الحضارات القديمة

تأليف
فؤاد حنين
فائق أسعد
رمسيس ميخائيل
صدقي حنا

الكتاب: مهد الحضارات القديمة

الكاتب: فؤاد حنين، فائق أسعد، رمسيس ميخائيل، صدقي حنا

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

سعيد، غادة محمد

مهد الحضارات القديمة / فؤاد حنين، فائق أسعد، رمسيس ميخائيل، صدقي حنا

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٨٠ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٧ – ٢٠٩ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٩٠٤٣ / ٢٠٢١

مهد الحضارات القديمة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

هذا الكتاب

"مهد الحضارات القديمة" وقد راعى مؤلفوه فيه سهولة الأسلوب مع تركيز المادة، وقد أوردوا الكثير من الأشكال الإيضاحية للاستعانة بها، لعلنا نكون قد وفقنا إلى ما فيه منفعتكم.

ونسأل الله أن يسدد خطانا ويهديكم إلى طريق النجاح.

المؤلفون

الباب الأول

الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة

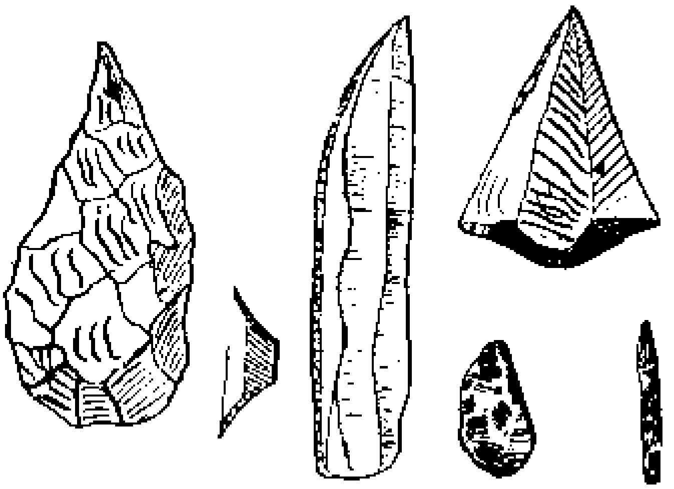
مواطن الحضارات القديمة

كانت الحضارات تتركز في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط أي في غرب آسيا في المنطقة التي يطلق عليها اسم الهلال الخصيب، وكانت هذه المنطقة تشمل الحضارات الآشورية والبابلية وتتركزان في الأراضي التي يجري فيها نهري دجلة والفرات. كما توجد أيضا الحضارة الفينيقية والفارسية. وإلى جانب هذه الحضارات كانت توجد أيضا حضارة عريقة في وادي النيل.

العوامل المشتركة التي ساعدت على قيام هذه الحضارات: -

١- خصوبة التربة: -

عندما انتهى العصر المطير وحل عصر الجفاف اندفع الإنسان إلى السهول والوديان حيث تتوفر المياه ولا غرابة في ذلك إذ أن الأماكن التي كان يسكنها بدأت تتحول إلى صحاري وقد كانت أول الأمر عامرة بالغابات التي تكثر فيها الحيوانات الثديية الضخمة وكان الانسان يشتغل بالصيد، وعندما حل الجفاف نزل الانسان إلى الوديان حيث موارد المياه وبدأ يتحول إلى ناحية الزراعة والاستقرار.



شكل ١ آلات من العصر الحجري القديم



شكل ٢ مقبرة العصر ما قبل الأسرات



شكل ٣ آلات وأواني من العصر الحجري الحديث

٢ - وفرة المياه:ـ

قامت الحضارات في وديان الأنهار في مصر مثلا حيث يجرى نهر النيل قامت حضارة عريقة ألا وهي الحضارة المصرية والتي استمرت آلاف السنين وكذلك في حوض نهري دجلة والفرات قامت الحضارة البابلية والآشورية ويلاحظ أن خصب التربة دفعت الإنسان إلى استغلالها وزراعتها، ودفعته كذلك إلى الاستقرار.

٣ - المناخ:ـ

يلاحظ أن المناخ المعتدل يبعث على النشاط ويدفع الانسان إلى

العمل ويمتاز أن مواطن تلك الحضارة تمتاز باعتدال مناخها فلا غرابة في أن يدفع ذلك بالإنسان في تلك المناطق إلى العمل لكي يرفع ولكي يشغل وقت فراغه.

٤ - وحود حواجز جغرافية :-

ساعدت على حماية هذه المواطن دون أن تمنع الاتصال بغيرها ومثال ذلك مصر فانه يحدها من الغرب الصحراء الكبرى وحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق سلسلة الجبال الشرقية ومن الجنوب ضخوباد النوبة والتي تعترض مجرى النيل. فهذه الحواجز ساعدت على حماية مصر من الغارات المفاجئة.

أما بابل وآشور فتقعان في وادي الدجلة والفرات فنجد أنه يحميها من الشمال هضبة أرمينيا ومن الشرق هضبة إيران ومن الجنوب صحراء البلاد العرب وهذه كلها حواجز ساعدت على حماية مراكز الحصارات إلى حد ما.

المصادر لدراسة الحضارة القديمة

مصادر التاريخ لعهود ما قبل الأسرات ليست كلها آثار مكتوبة أو منقولة يمكن بواسطتها معرفة الأحداث التاريخية أو السياسية ولكنها مع ذلك تحيطنا علبة بمعيشتهم الأولية وأحوالهم في تلك العصور السحيقة وتكشف عن التطور الذي طرأ على حياتهم وصناعتهم وفنونهم المختلفة:

أما معلوماتنا عن العصور التاريخية فتعتمد غالبا على الآثار التي خلفها الأولون في مختلف العصور وهي تحدثنا عن الكثير من أخبارهم وتروى لنا معلومات لها أهميتها عن عقائدهم وفنونهم وصناعاتهم ومثال ذلك الآثار التي خلفها لنا المصريون القدماء فإنها تكشف عن حياتهم وعقائدهم وصناعاتهم وفنونهم – ويجب أن يلاحظ بأنها مستمدة في أغلب الأحيان من المقابر أو المعابد أي إنها ذات طابع ديني أو جنائزي.

ومن أهم المصادر التي خلفها المصريون القدماء والتي لها أهميتها في دراسة التاريخ المصري بعض القوائم التي أراد بعض ملوك مصر أن يخلدوا عليها أسما الملوك الذين سبقوهم في الحكم وأهم هذه القوائم.

١- **حجر بلرمو:** وهو قطعة من الديوريت محفوظة في متحف بلرمو جزيرة صقلية ومدون عليه أسماء ملوك مصر ابتداء من عصر فر التأريخ حتى الملك الثالث من ملوك الأسرة الخامسة المدعو(نفرا پركارع.

ويمتاز هذا الحجر بأنه يوجد تحت اسم كل ملك من ملوك العصر التاريخي (عصر الأسرات) بيان الاحداث الهامة التي حدثت في كل سنة من سني حكمه.

٢- **قائمة أبيدوس:** ويطلق عليها لوحة الأجداد وأمر بنقشها سيتي الأول من الأسرة التاسعة عشر على أحد جدران معبده في أبيدوس وذكرت أسماء ملوك مصر ابتداء من الملك مينا حتى عصر سيتي الأول، إلا إنها أغفلت ملوك عصر سيتي الأول إلا إنها أغفلت عصر الهكسوس لان ملوك الهكسوس

كانوا أجانب ودخلوا مصر غازين فلم يعترف بهم، كما أن هذه القائمة حذفت أسماء ملوك عصر التوحيد (إخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون وآى) وقد كان الغرض من ذكر أسماء الملوك عند عمل اللوحة هو تقديم القرابين لهم.

٣- **ورقة تورين البردية:**- وهذه القائمة لها أهميتها الكبيرة ،ويغلب على الظن إنها ترجع إلى عهد رمسيس الثاني و تمتاز بأنها ذكرت أسماء الملوك مع مدة حكمهم باليوم والشهر والسنة وكذلك لم تحذف أي عصر من العصور الغامضة في التاريخ المصري كما فعلت قائمة أبيدوس، وحفظت لنا كذلك أساء ملوك الدولة الوسطى كاملة ولذلك يعتمد عليها كل الاعتماد وخاصة فيما يتعلق بالدولة الوسطى.

٤- **قائمة سقارة:** وهي من عهد رمسيس الثاني إذ عثر عليها في مقبرة أحد الأمراء من ذلك العصر وهذه المقبرة في سقارة وقد جمعت هذه القائمة ملوك عصري الاضمحلال الأول والثاني.

٥- **قائمة الكرنك:** وترجع إلى عصر الملك تحوتمس الثالث وهي بالكرنك وبها أسماء ملوك الأسرة العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة.

أما المصادر الأخرى فهي الكتب التي وصلت الينا من مؤرخي اليونان أولئك الذين أتوا إلى مصر كسواح وكتبوا مشاهداتهم ودونوها في كتبهم ومن الطبيعي أن هؤلاء قد قدموا إلى مصر في عصر متأخر فقد زاروا مصر منذ القرن السادس قبل الميلاد وقد كتبوا الكثير عنها وعما شاهدوه من آثارها وقام الكثيرون منهم بجولات داخل البلاد ورحلات

إلى مصر العليا .. ومن أمثال هؤلاء الكتاب هيكاته المليتي الذي حضر إلى مصر حوالي عام ٥٢٠ ق.م. وهيرودوت الذي زار مصر سنة ٤٣٠ ق.م. وديودور الصقلي (٤٤ ق.م) و سترابو (٢٥ ق.م.) فقد كتبوا عن مشاهداتهم الشخصية وعن عادات المصريين و تقاليدهم ووصف آثارهم ولذا فان كتاباتهم لذي قيمة كبيرة.

أما شيخ المؤرخين فهو مانيتون وقد كان هذا مصرياً نشأ في مدينة سمنود وعاش في عصر الملك بطليموس الثاني (٣٠٥ – ٢٨٥ ق.م.) وكتب ثلاثة كتب خصص إحداها للتاريخ والجزء الثاني للحالة الاجتماعية والجزء الثالث للحالة الدينية. ويبدو أنه كان على علم باللغة المصرية القديمة وأنه قد استعان ببعض المخطوطات المصرية في تاريخه وما وصل الينا من الكتب عبارة عن تدوينات بعض الملاحظات لثلاثة من المؤرخين هم يوسف اليهودي و يوليوس الافريقي (٢١٧ م) ويوسبيوس (٣٢٧م) – ويلاحظ أن مانيتو قسم التاريخ المصري إلى ٣١ أسرة وأخذنا عنه هذا التقسيم وقد أثبتت الحفريات صحة هذا التقسيم.

أقسام التاريخ المصري

١- العصر الطيني ويشمل الأسرتان ١، ٢

٢- عصر الدولة القديمة ويشمل الأسرات ٣، ٤، ٥، ٦

٣- عصر الاضمحلال الأول ويشمل الأسرات ٧، ٨، ٩، ١٠

٤- عصر الدولة الوسطى ويشمل الأسرات ١١، ١٢

٥- عصر الاضمحلال الثاني ويشمل الأسرات ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧

٦- عصر الدولة الحديثة ويشمل الأسرات ١٨، ١٩، ٢٠

٧- عصر اأسرة الكهنة وتشمل الأسرة ٢١

٨- عصر الليبين ويشمل أسرات ٢٢، ٢٣

٩- العهد الصاوي الأول ويشمل الأسرة ٢٤

١٠- عصر الاثيوبيون ويشمل الأسرة ٢٥

١١- عصر النهضة ويشمل (فترة التحرير الثانية) ويشمل الأسرة ٢٦

١٢- حكم الفرس ويمتد من الاسرة ٢٧ إلى الأسرة ٣١

١٣- غزو الاسكندر وحكم البطالمة ويمتد من ٣٣٢ إلى ٣٠ ق.م.

١٤- حكم الرومان من ٣٠ ق.م. حتى الفتح العربي لمصر سنة ٦٤٠م.

فك رموز الكتابة القديمة

أولا الكتابة المصرية:

كان المصري القديم يكتب لغته بحروف أو مقاطع على شكل الصور وهذه الكتابة تعرف بالهيروغليفية وقد تطورت هذه الكتابة إلى كتابة أخرى أكثر تبسيطا أي إنها مرحلة مبسطة من الهيروغليفية وهذه يطلق عليها اسم الكتابة الهيراطيقية ثم تطورت الهيراطيقية أو انتشرت إلى جانبها كتابة أخرى هي الديموطيقية وأصبحت أكثر شيوعا. في القرن الثالث الميلادي كتبت اللغة المصرية بالحروف اليونانية وبذلك ظهرت اللغة القبطية من هذا يتضح أن

اللغة القبطية لغة مصرية كتبت بحروف يونانية، وقد بذلت محاولات كثيرة لفك رموز الكتابة الهيروغليفية ولكنها فشلت وفي سنة ١٧٩٩ عثر جنود الحملة الفرنسية على الحجر المعروف بحجر رشيد وقد كتبت على وجهه الامامي نقش بثلاث كتابات هي:– الهيروغليفية والديموطيقة واليونانية. وهذا النقش عبارة عن نص واحد لأنه ورد في النص ما يفيد بأنه مكتوب بكتابات ثلاث ولما كانت اليونانية معروفة فقد فهم نص الكتابة عامة ثم أمكن الوصول إلى هذا السر عن طريق قراءة الأسماء بالخانات الملكية مع الاستعانة باللغة القبطية.

ثانيا الكتابة المسمارية:

كان البابليون يكتبون بالخط المسماري ، ولقد حيرت الكتابة البابلية العلماء فظلوا مئات السنين عاجزين عن فك رموزها. وفي سنة ١٨٣٥ استطاع هنرى رولنسن أحد موظفي السلك السياسي البريطانيين في أيران أن يقرأ ثلاثة أسماء منها أسم دارا وذلك في نقش كتب بالخط الفارسي القديم وهو خط مسماري مشتق من الكتابة البالية وأستطاع بفضل هذه الاسماء أن يقرأ النص كله آخر الأمر ولكن هذه الكتابة ولو إنها مشتقة من الكتابة البابلية فإنها لم تكن البابلية نفسها.

وبقي على رولنسن أن يعثر على نص واحد باللغتين الفارسية القديمة والبابلية وأخيرا عثر على صخرة في جبال ميديا عليها نقش يسجل حروب دارا الأول وانتصاراته مكتوب بثلاث لغات هي الفارسية القديمة والآشورية والبابلية وأخذ رولنسن ينسخ كل حرف بعناية وبعد ذلك بعدة سنين نجح في ترجمة النصين البابلي والآشوري.

وبفك رموز الكتابة القديمة اتسعت البحوث التاريخية.

الحضارة المصرية القديمة

العوامل الجغرافية التي ساعدت على قيامها:ـ

١- الموقع الجغرافي:-

تقع مصر عند ملتقى قارتي آسيا وأفريقيا فهذا الموقع ساعد مصر على سهولة الاتصال بجيرانها كما أن مصر يحدها بحران عظيمان هما البحر الأبيض المتوسط في الشمال والبحر الأحمر في الشرق ولذا قام المصريون بركوب البحر وبناء السفن كما أنهم تاجروا مع الشعوب المجاورة فساعد ذلك على تقدم الحالة الاقتصادية كما كان له أثر في تبادل الأفكار بين مصر وجيرانها وكان للصحراوات التي تحيط (مصر) فائدة عظيمة بالنسبة لها لأنها ساعدت على حماية مصر من الغارات المفاجئة.

٢ – النيل:-

النيل هو العامل الأساسي في وجود مصر ولقد صدق هيرودوت حين قال، بأن مصر هبة النيل فلقد كان النيل عصب الحياة فيها فهو الذي منحها الحياة والوجود وهو الذي ربط أجزاءها منذ القدم كما كان الطريق الطبيعي للمواصلات كما أن الغرين الذي يحمله النهر هو سبب خصوبة أرض مصر.

وقد كان النيل من أهم الأسباب التي دفعت المصريين إلى الاتحاد اذ اضطروا أن يتعاونوا ويعملوا متحدين على تنظيم شئون الري كما أن

وفرة ماء النيل دفعت المصريين القدماء إلى العمل على الإفادة من ذلك فشقوا الترع وبنوا الخزانات لتنظيم الري كما أنه دفع المصريين إلى معرفة على الحساب والهندسة لهذا كله قدر المصريون النيل وعبدوه وأطلقوا عليه أسم (حعبي)

٣- السطح:-

ينقسم سطح مصر إلى قسمين مختلفين هما مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلى وهي (الوجه البحري) أما مصر العليا فعبارة عن واد ضيق تحف الصحراء بجانبه يمتد من الشلال الأول إلى رأس الدلتا بالقرب من القاهرة. أما مصر السفلى فهي عبارة عن أرض منبسطة لا توجد بها مرتفعات وكان يتخللها عدة فروع للنيل وقد أطلق المصريون كلمة (كمت أي الأرض السوداء على وادي النهر والدلتا وكلمة (دشرت) أي الارض الحمراء على الصحراوات المحيطة بمصر

٤- التربة:-

كان لتربة مصر أثر كبير في حضارتها القديمة وان الطبي الذي يجلبه النهر سنويا في زمن الفيضان كان السبب في خصوبة أرض مصر وقد ساعد هذا الخصب على نمو محاصيل كثيرة.

كما كان للصحراء فائدة بالنسبة لمصر فقد أستغل المصريون ما بها من معادن واحجار في مختلف الصناعات والمباني والأدوات.

٥- المناخ:-

تمتاز مصر بمناخها المعتدل وهذا المناخ المعتدل لا يبعث على الكسل بل أنه يبعث على النشال ويدفع إلى العمل والسير في طريق الحضارة كما ان اعتداله ساعد على بقاء ما خلفه المصريون القدماء من آثار لها قيمتها اذ لولاها لضاعت معالم التاريخ المصري القديم.

الحضارة المصرية في عصر ما قبل التاريخ

تغير الأحوال الجغرافية وأثره في تطور الحياة:-

ظهر الانسان على وجه الأرض في عصر يطلق عليه اسم عصر البلايوستوسين في خلال المليون سنة الأخيرة) أو العصر الجيولوجي الرابع، ويعد هذا العصر بمثابة أحدث صور الكرة الأرضية ويمتاز هذا العصر بظهور الانسان على وجه الأرض كما يمتاز، بوجود أحوال مناخية تختلف عما يسود العالم الآن إذ كان الجليد يكسو أوربا بأجمعها ولذلك يسمى بالنسبة لأوروبا بالعصر الجليدي بينما كانت الأقاليم الصحراوية الواقعة جنوب البحر الأبيض المتوسط تستمتع بمناخ يشبه إلى حد كبير مناخ جنوب أوربا في الوقت الحالي إذ أنه يميل إلى الدفيء وفي نفس الوقت يمتاز بالأمطار الكثيرة ولذلك يسمى هذا العصر بالنسبة الينا بالعصر المطير. وكنتيجة لكثرة الأمطار امتازت أقاليم شمال إفريقيا بثروة نباتية هيأت البيئة الصالحة لحياة قطعان كثيرة من الحيوان مثل الغزال والبقر الوحش والنعام، وإنسان ذلك العصر كان يحيا حياة بدائية تنحصر في اقتناص الحيوان والتقاط المار وهي حياة لا تدفع إلى الاستقرار فلجأ

إلى الكهوف يعيش فيها ودفعته الحاجة إلى استعمال ما يحيط به فكان يصنع الأدوات التي يستعملها للدفاع عن نفسه لصيد كثير من الحيوانات من احجار الصوان. ويسمى هذا العصر بالعصر الحجري القديم وهو عصر كان الانسان فيه لا يعرف الاستقرار ولم يتلق العلم ولم يتعلم الزراعة ولقد سمي بهذا الاسم نظرا إلى التجاء الانسان إلى الحجر ليصنع منه آلاته وأدواته التي كانت لازمة له للدفاع عن نفسه (أنظر شكل ١).

أما مميزات العصر الحجري القديم فهي:-

١- كان الانسان يعيش فوق الهضبة.

٢- كان يسكن الكهوف.

٣- الاعتماد على الصيد.

٤- صنع الأدوات من الأحجار.

٥- لم يعرف الانسان فيه الاستقرار.

وبانتهاء العصر المطير انقضى الدور الأول من حضارة الانسان ثم حل عصر الجفاف فاندفع الانسان إلى السهول والوديان حيث تتوفر المياه ولا غرابة في ذلك إذ أن الأماكن التي كان يسكنها بدأت تتحول إلى صحاري، كما أن الحيوان اضطر أيضا إلى أن يسعى وراء الأراضي المنزرعة وأخذ الأنسان يحاول الاستفادة من البيئة الجديدة التي حولته إلى ناحية الزراعة والاستقرار. وهكذا بدأ الانسان يتعلم تدريجياً كيف يستنبت الأرض، ويبذر البذور ويحرس الزرع حتى موسم الحصاد وبذلك

أخذت الحياة مظهراً جديداً فأصبحت زراعية إنتاجية بعد أن كانت تعتمد على مجرد الجمع والالتقاط واستقر الناس في أوطان صغيرة فحلت الوحدة الاقليمية الثابتة محل الوحدة القبلية المتنقلة. ويسمى هذا العصر بالعصر الحجري الحديث.

مميزات العصر الحجري الحديث:

١- تعلم الانسان فيه الزراعة.

٢- بدأ فيه الانسان يستقر.

٣- تعلم الانسان فيه صقل الآلات من الصوان.

٤- استئناس بعض الحيوانات كالثيران والغنم والماعز والكلاب والخنازير.

٥- تقدم صناعة الفخار.

الأواني الفخارية:

كانت صناعة الفخار صناعة يدوية وكانت أشكاله بسيطة لم تتميز بعلامة الصانع أو المالك وأن ظهرت بها الزخارف.

المساكن:

كانت مستديرة أول الأمر ثم أصبحت بيضاوية، وكانت هذه المساكن عبارة عن أكواخ من البوص أو من جذوع الأشجار وأغصانها وتطلى بالطين.

الديانة:

كان هناك اعتقاد في التمائم وكانت هناك عناية بدفن بعض الحيوانات كالثور والكتاب والشاه وابن آوى فكانت تلف بالكتان ثم بالحصير وتدفن في أماكن مختارة مما يوحي بأن هذه الحيوانات كانت موضع الاجلال والتقديس وليس من شك في أنه كان هناك اعتقاد بالحياة بعد الموت، والدليل على ذلك القرابين التي كانت توضع إلى جانب الميت.

المقابر:

كانت المقبرة أول الأمر عبارة عن حفر مدورة في الأرض غير عميقة تم أصبحت مستطيلة أو بيضاوية وكان الميت يوضع في هذه الحفرة ثم يهال عليه التراب. قد يلف الجسم في الحصير أو الجلد. وكان الميت يوضع في شكل مقرفص أي أن ذراعيه مثنيتان إلى صدره وركبتاه إلى بطنه. وكان يوضع مع الميت بعض الأواني وفي بعض الأحيان لا يوضع شيء منها. وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية على أنه كان يوجد للمقبرة في بعض الأحيان سقف من البوص أو الخشب (انظر شكل ٢).

وقد عرف الأهالي في ذلك العصر صناعة النسيج وكانت صناعة خشنة كما قاموا بعمل السلال والحصر. واعتمد السكان في ذلك العصر على الزراعة والصيد معا فقاموا بزراعة الحبوب والكتان كما قاموا بتربية الماشية.

وقد كانت الحياة في وادي النيل في ذلك العصر تختلف عن الحياة الآن لا سيما في الدلتا من حيت أن الأرض كان يكسوها الادغال

وكان يأوي إلى هذه الادغال والأحراش الغزال والزرافة والفيل ويأوي إلى ماء النيل فرس البحر والتمساح، وكانت الحياة في مصر تشبه في وجوه كثيرة الحياة الآن في النيل الأبيض.

وحضارة العصر الحجري الحديث في مصر موزعة في مناطق متعددة من القطر المصري سواء في الشمال أو الجنوب وأهمها حضارة مرمدة بني سلامة وحضارة الفيوم وحضارة دير تاسا وحضارة البدارى وحضارة العمرة وحضارة جرزه .. الخ

حضارة مرمدة بني سلامة:

هذه الحضارة تمثل حضارة الشمال ومرمدة بن سلامة هي قرية تقع بالقرب من الخطاطبة في غرب الدلتا وقد دلت الآثار التي عثر عليها في هذه القرية على أن الانسان في هذه الحضارة عرف الزراعة وكيف يحصد الزرع وكيف يخزن المحصول في أكياس من الخوص المجدول وحفر لها حفرا في باطن الأرض. وكان الإنسان في هذه الحضارة يسكن في أكواخ صغيرة يتكون كل منها من سور غير عال مصنوع من البوص وتحيط به ستائر من الحصر. أما الآلات التي استعملها إنسان هذه الحضارة فكانت عبارة عن خناجر وسكاكين صنعت من حجر الصوان وعثر على أواني فخارية لها أشكال متعددة منها ما يشبه الطبق ومنها ما يشبه السلطانية (انظر شكل ٣).

وتمتاز هذه الحضارة بظاهرة غير موجودة في الوجه القبلي وهي أن أهل هذه الحضارة كانوا لا يدفنون موتاهم خارج القرية بل كانت المقابر

في وسط القرية وهذا هو السبب في أنه لم يكن يوضع مع الميت شيء من الأواني لأنه لم يكن هناك ما يدعو لوضع أدوات معه لأنه حسب اعتقادهم يشارك أهله أثناء تناولهم الطعام.

تتمثل هذه الحضارة في الفيوم وكذلك في منطقة العمري بالقرب من حلوان، ويوجد تشابه بين هذه الحضارة وبين حضارة مرمدة بني سلامه وأوجه الشبه تنصب على أن الكوخ متشابه في استدارته. ويلاحظ أن المقابر في حضارة الفيوم كانت بعيدة عن المساكن. أما الفخار في هذه الحضارة فيخلو من النقش والزخرفة وليس به حفر أو رسم، ونسبة الفخار الاسود في الفيوم أقل منها في مرمدة بنى سلامة. (انظر شكل ٢).

حضارة مصر العليا:

وتتمثل فيها عدة حضارات ومن أهمها حضارة دير تاسا وحضارة البدارى وحضارة العمرة الخ.

حضارة دير تاسا:

سبقت حضارة البدارى، والأواني الفخارية رديئة الصنع وأدوات الزينة كانت قليلة وبسيطة غير متقنة. ويوجد في فخار دير تاسا أقداح ذات شفة مفلطحة على شكل البوق أو الجرس المقلوب يحلى سطحها الخارجي خطوط محفورة ملئت بعجينة بيضاء. والمقابر في هذه الحضارة بعيدة عن المساكن وغالبا بيضاوية (انظر شكل ٣).

حضارة البدارى:

وهي نقع إلى جنوب أسيوط وتتميز بيده استخدام النحاس، وفخار البدارى أرقى أنواع الفخار ويمتاز بما يحلى سطحه من تموجات كما أنه يمتاز برقة جدرانه أما المساكن فهي مستديرة. وعثر في هذه الحضارة على ثلاث تماثيل صغيرة في إحدى المقابر وهي تماثيل لنساء. وأهالي تلك الحضارة كان لهم ولع خاص بالتزين بالحلي فصنعوا بعض الخرز من العاج أو من النحاس وكانوا يتحلون بالأساور والقلائد والخواتم. (انظر شكل ٢).

حضارة العمرة:

ويطلق عليها اسم حضارة نقاده الأولى وهذه الحضارة تنسب إلى بلدة العمرة في جنوب شرق ابيدوس بقليل (الغرابة المدفونة) بالصعيد. وتميز هذه الحضارة بالفخار المحلي بالرسوم باللون الابيض اما الرسوم فهي عبارة عن خطوط تكون أشكالاً هندسية وبعض الرسوم عبارة عن اشكال مختلفة من النبات والحيوان ومناظر الصيد والقتال وكانت الصور الحيوانية مختصرة اختصارا شديدا. أما المقابر فعبارة عن حفر غير عميقة مدوره لا تحوي غير اناء واحد من الفخار الاحمر ذي الشفة السوداء. (انظر شكل ٢)

حضارة جرزه (نقاده الثانية)

تقع هذه الحضارة شمال ميدوم وأهم ما يميز هذه الحضارة الفخار المحلى بالرسوم الحمراء والفخار ذو المقابض المتموجة ويبدو في بعض أواني الفخار المحلى بالرسوم الحمراء تقليد للأواني الحجرية وتظهر في

الفخار المحلى بالرسوم باللون الاحمر صور مراكب وحيوانات منفردة أو في صفوف متتالية كنوع من الزينة غاليا. أما المقابر فقد اتخذت شكلا مستطيلا. (انظر شكل ٢)

بزوغ عصر المعادن:

لقد ذكرنا من قبل أن حضارة البداري تتميز ببدء استخدام النحاس ويطلق العلماء على العصر الذي دخلت فيه صناعة النحاس إلى جانب الادوات الحجرية اسم العصر الأنيوليتي. وقد استخدم النحاس في صنع الآلات والأدوات الصغيرة كالإبر وأسنان الخطاطيف والمكاشط وأخذت صناعة النحاس تتقدم وأخذ النحاس يحل محل الصوان في صناعة الأسلحة والآلات. كما عرف الذهب فصنعت منه بعض الأدوات والحلى. ولم يستعمل الذهب في مصر قبل النحاس.

الباب الثاني

الحضارة المصرية في عصر الاتحاد (٢٣٦٠ ق.م.)

حالة مصر وجهادها قبل الاتحاد:

كانت مصر في عهودها الأولى تتألف من جماعات مختلفة تسكن كل منها منطقة محدودة أو مقاطعة لها حاكم خاص ، ولكل جماعة من هذه الجماعات رمزها أو شعارها الخاص وآلهتها التي تمثل على شكل حيوان أو نبات فشلا قد يكون الشعار طائر مثل الصقر وقد يكون شجرة مثل شجره الجميز وقد يكون حيواناً نافعاً مثل الثور والكبش وقد يكون حيواناً ضاراً مثل الثعبان والتمساح.

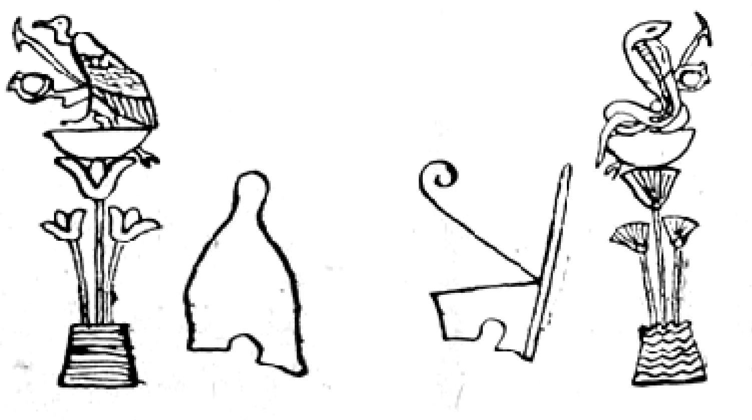
والمقاطعات التي كانت تسكنها الجماعات قبل اتحادها كانت تتكون منها مصر والتي تبلغ ٤٢ مقاطعة منها (٢٢ في الوجه القبلي) و(٢٠ في الوجه البحري) يظن إنها كانت في الأصل الأقاليم التي كانت تسكنها الجماعات قبل اتحادها.

وقد كان يظن أن مينا هو أول ملك حكم مصر متحدة وأنه أول من ركز الملكية فيها ولكن ثبت أنه كان هناك أتحاد قبل عصر مينا فلقد انتهى أحد علماء الآثار بعد بحثه في مقاطعات الوجه البحري وديانات مصر القديمة إلى أن الداتا كانت تتكون من شرق الدلتا الصغيرة وغرب الدلتا الكبيرة وإنها اتحدتا محت راية الإله حوريس ثم تم لهذه الوحدة الاستيلاء على مملكة الصعيد والتي.

توحيد مملكتي الشمال والجنوب:

انقسمت مصر بعد الاتحاد الأول إلى قسمين هما: مملكة الشمال ومملكة الجنوب، أما مملكة الشمال فكانت عاصمتها دب (بوطو – وتقع في شمال غرب الدلتا جنوب بحيرة البرلس الحالية) وتحميها الآلهة داجيت ويرمز لها بالثعبان. وقد اتخذت ملكة الشمال نبات البردي رمزا لها كما أن ملوكها كانوا يلبسون تاجا أحمر له شكل خاص. (أنظر شكل ٤أ).

أما مملكة الجنوب فكانت عاصمتها نخب وهي (الكاب الحالية شمال ادفو بقليل) على الضفة الشرقية للنيل وتحميها الاله نخبت (على شكل أنثى النسر) واتخذت مملكة الجنوب نبات اللوتس رمزا لها كما أن ملوكها كانوا يلبسون تاجا أبيض له شكل خاص أيضا. انظر شكل (٤ ب).



شكل ٤ (أ) شكل ٤ (ب)

وقد كان لكل مملكة بيت مال خاص فملكة الشال لها بيت المال

الاحمر ومملكة الجنوب لها بيت المال الابيض. وبعد ذلك بحوالي ألف سنة استطاع حاكم من الجنوب ويسمى مينا أن يخضع الشمال لسلطته وذلك عن طريق القوة والحرب وانتصر على الشمال وكون من الشمال والجنوب دولة واحدة وأطلق على نفسه لقب ملك الوجهين فكان بذلك أول من قام بتوحيد الشمال والجنوب في العصور التاريخية.

أهم أعمال الملك مينا:- (نعرمر)

١- أول من وحد الجنوب والشمال في العصور التاريخية وأسس الأسرة الأولى.

٢- شيد منف لتكون العاصمة كما يذكر ماينتو.

٣- يذكر هيرودوت بأن مينا شيد معبدا للإله بتاح جنوب أسوار مدينة منف.

٤- محاربة الليبيين وإخضاعهم.

تطور الحضارة في العهد الثيني (الطيني)

كان الملك في العهد الثيني مطلق السلطة ولكن بالرغم من أن سلطة الملك كانت تتناول كل الأمور، إلا أن الواجبات المفروضة عليه كانت تحد من هذا السلطان، ذلك أنه كان من واجبه أن يعمل على بناء المعابد الآلهة والاحتفال بأعيادها. ومن الواجبات التي كانت مفروضة على الملك أيضا، هو أن يتولى الدفاع عن مصر، وأن يعمل على حمايتها من القبائل والشعوب المجاورة الطامعة في خيراتها، وكان عليه أن يعمل

على زيادة رفاهية شعبه وذلك بحفر الترع وإقامة الجسور ليتيسر فلاحة الاراضى وزراعتها، وكان على الملك أن يعمل على توطيد العدالة ونشر الحق بين أفراد شعبه أما إذا اهمل الملك رعاية هذه الواجبات فانه يفقد بذلك قدسيته.

النظام الإداري في العهد الطيني:

كان يعاون الملك عدد من الموظفين، ولا بد أنه كان هناك موظف هو حلقة الاتصال بين الملك وباقي الموظفين، وكان هناك مكتب خاص تحفظ فيه المستندات الرسمية، ولقد كان حكام المقاطعات يعملون على الرخاء وتنظيم فرض الضرائب.

وكان في كل مدينة محكمة أو هيئة قضائية، مما يشير إلى وجود قانون مكتوب وإجراءات قضائية، وكانت الهيئة مؤلفة من كبار الموظفين وتسند اليها إدارة المدينة وما حولها من قرى.

علاقة مصر بجيرانها في ذلك العهد:ـ

لم تكن سياسة مصر في ذلك العهد تقوم على الغزو الخارجي، بل اقتصر نشاطها الحرب على رد غارات الطامعين، وتأديب البدو وتأمين طرق القوافل، ولقد كان المصريون يقومون باستثمار مناجم سينا، وكانت هذه المنطقة عرضه لهجمات البدو فكان الأمر يستدعي تأديبهم من وقت لآخر.

المقابر:ـ

كان من الطبيعي أن تكون المقابر الملكية في عهد بداية الاسرات أكثر اتساعا وأكبر بناء من مقابر الأفراد، على أن المقبرة الملكية أو لا، لم تكن إلا حفرة كبيرة مستطيلة في جوف الأرض، ومسورة بجدران سميكة من اللبن وفي داخلها غرفة كبيرة من الخشب حيث توضع جثة الميت وبعض ما يلزمه من أدوات، وقد تكون المقابر الملكية ذات غرف متعددة كي توضع فيها حاجات الميت الكثيرة، ولكي تكون في متناول اليد في حياته الثانية.

أما إذا كان الميت فقيرا معدما فانه كان يدفن في حفرة بسيطة في جوف الأرض ولكن مع ذلك، كانت توضع بعض الأواني حول الجثة حتى يستمتع بها في حياته الثانية ولم يقتصر المصري في الأسرة الأولى في مبانيه على الطوب الأخضر (اللين)، ولكنه استخدم الحجر الجيري الأبيض كذلك، وقد عثر على عدة مقابر بنيت بالحجر (حفائر حلوان).

الأواني:ـ

تتجلى البراعة في صنع الأواني الحجرية وصقلها من الأحجار المختلفة كالمرمر والاردواز والبازلت والديوريت وغير ذلك من الأحجار، وهذه الأواني عبارة عن أطباق وكؤوس وأباريق. ويلاحظ أن البراعة في الصقل تجعل الإناء أملسا ناعما يكاد يكون له بريق المعادن اللامعة.

أما صناعة الأواني الفخارية، فكانت متقنة والأواني متساوية النسب ناعمة الملمس كأنها من حجر أجيد صقله.

الملابس:-

كانت من نسيج الكتان.

الحلي:-

كانت عبارة عن اساور وعقود حباتها من الخرز كالعقيق الأحمر والمرمر أو القاشاني الأخضر والأزرق.

النحت:

بلغت صناعة التماثيل من العاج ذروة عالية، كما إنها تمتاز بالدقة في تمثيل الجسد، والعناية بإبراز ملامح الوجه. وصنعت كذلك بعض التماثيل الصغيرة من النحاس والقاشاني، ولكن ما حفظ منها قليل جدا ومن أمثلتها تمثال صغير من القاشاني يمثل طفلا يضع ابهامه في فمه وكذلك تمثال من سن الفيل يمثل طفلا صغيرا يجلس القرفصاء وقد وضع أصبع يده في فمه، وهناك أيضا تمثال صغير لأسد مصنوع من سن الفيل. وهناك تماثيل صنعت من الحجر الجيري.

النقش:-

تعتبر لوحة الملك نعرمر (مينا) من التحف الفنية الرائعة وهي مصنوعة من حجر الشيست ومنقوشة من وجهها، فعلى الجزء الأعلى من كل من وجهيها كتب اسم الملك بين رأسين للالهة حتحور، أما الوجه الخلفي لتلك اللوحة فقد قسم إلى قسمين القسم الأول مثل فيه الملك على رأسه تاج الوجه القبلي قابضاً بيده اليسرى على شعر أسير راكع

أمامه وممسكا بيده اليمنى دبوس القتال يريد أن يهوى به على رأس الأسير، ويلاحظ وجود كتابة تصويرية فوق رأس الأسير الواقع، تمثل قطعة أرض تنبت منها ستة أغصان ويخرج من طرفها الأيسر رأس تشبه رأس الأسير يبرز من تحت أنفها حبل يقبض عليه صقر، ولعل المقصود بذلك الكناية عن أن الملك و قد اتخذ شخصية الإله حوريس قد أسر عددا كبيرا من سكان الوجه البحري. وفي الجزء الأسفل من اللوحة وعلى وجهها الخلفي نجد صورة رجلين يغلب على الظن انهما صريعين على الأرض (انظر شكل ٥).



(شكل ٥)

أما الوجه الأمامي في هذه اللوحة والذي توجد فيه البؤرة فهو مقسم إلى ثلاث مناطق، مثل في المنطقة العليا الملك وعلى رأسه تاج

الوجه البحري، وتحيط به حاشيته يستعرض جثث اعدائه وقد وضعت رؤوسهم بين سيقانهم. أما المنطقة الوسطى، فهي أكبر المناطق الثلاث وتشتمل في وسطها على بؤرة مستديرة نشأت عن التفاف رقبتين طويلتين الحيوانين خرافيين. أما المنطقة السفلى فقد مثل فيها الملك على شكل (ثور) يطأ بإحدى رجليه عدوا ملقى على الأرض، ويهدم بقرنيه سور مدينة محصنه وتدل تلك اللوحة دلالة واضحة على اتحاد الوجهين البحري والقبلي ويمكن القول إن مصر قد بلغت في هذا العصر درجة عظيمة من التقدم والرقي.

الباب الثالث

الفصل الاول

الدولة القديمة

الديانة: سلك الشعب المصري نفس الطريق الذي سلكته شعوب أخرى مختلفة، وهذه الشعوب نشأت من الوجهة الدينية على حظ عظيم من السذاجة، فكانت أول أمرها تؤله كل شيء وترى في كل شيء يقع تحت حواسها مظهر دينية، وهي مقتنعة تمام الاقتناع بأنها تعيش وسط الآلهة، وإنها مدينة بحياتها لهذه القوى الكثيرة، فهذه القوي خيرة مرة وشريرة مرة أخرى، والشعب مضطر بحكم هذه الظواهر أن يتملقها ليجلب خيرها ويتقى شرها، ويبدو أن الشعب المصري القديم كان من أشد الشعوب اسرافا في التدين يؤمن ما يشهده وما يتخيله أيضا كان المصريون القدماء إذاً يعبدون كل شيء، الأرض و السماء والكواكب والحيوان والأشجار، ولم يكن في مصر في عهدها الأول وحدة دينية، بل كان في كل مدينة وفي كل بلدة معبودها الخاص يلتمس الأهالي معونته ويبتغون رضاه بالضحايا والصلوات ويعتبرونه رب المقاطعة أو إله المدينة. وكانت كل مدينة مصرية في العصور القديمة، تعتقد أن المها هو أكبر الله وانه هو الذي أبدع الخلق والمصريون كانوا يؤمنون بأن هناك بحراً عظيماً يسمونه نون، كانت المادة في عمقه فجاء إله من

الآلهة وأخذ هذه المادة فخلق منها العالم وكانت كل مدينة تعتقد أن إلهها هو الذي أوجد العالم من هذه المادة وفي جهات الدلتا كان المصريون يعتقدون أن هناك البحر الظلم وأن في عمقه إلهين أحدهما ذكر والآخر أنثي وكانا متعانقين ملتزمين فجاء اله ثالث واستطاع أن يفرقهما عن بعضهما بأن رفع الأنثى فوق ذراعيه وقذف بها في الجو وجعل قوائمها مرتكزة على الأرض فصارت السماء "نوت"، والاله الذي بقى مطروحا يسمى "جب" إله الأرض والاله الذي توسط بينهما يسمى شو (الهواء أو الفراغ).

ومن النظريات الدينية العظمى التي بقيت في مصر زمنا طويلا وأثرت في كل تاريخها القديم، نظرية الشمس "هليوبوليس"، فقد جمع أهل مدينة الشمس جميع التصورات التي شاعت في مصر السفلي وخلطوا بينها، واستطاعوا أن يستخلصوا منها نظرة لم تلبث أن اعتنقها المصريون جميعا، فقد اعتقد كهنة مدينة الشمس أن رع هو أول من أوجد العالم، وشاعت هذه النظرية وأخذت المدن المصرية تتناقلها مع شيء من التعديل.

وليس من شك أنه كانت لعبادة رع أهمية كبرى قبل قيام الأسرة الخامسة مدة طويلة، وإذا كانت عبادة رع قد أخذت تنتشر خارج هليوبوليس فان هذا يرجع إلى وجود العاصمة فيها.

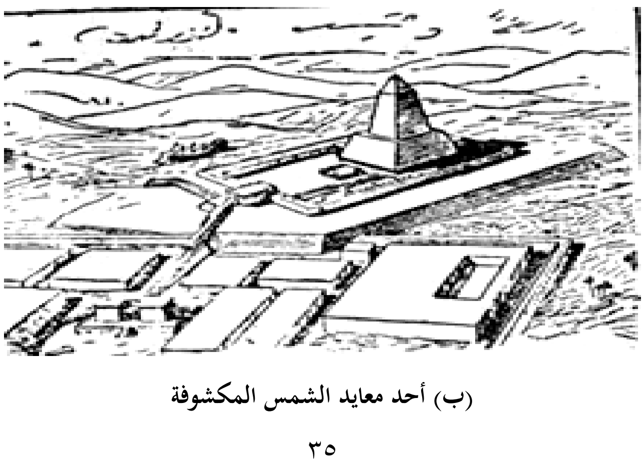
ومما يشير إلى انتشار عبادة الشمس قبل الاسرة الخامسة مدة طويلة ظهور اسم رع في أسماء ملوك الأسرة الثانية (نب رع) وكذا معظم أسماء ملوك الأسرة الرابعة. ويلاحظ كذلك أن (الملك من كاورع)

استحدث لقبا جديدا هو سارع أي ابن الشمس، وبذلك أصبح الطريق ممهد لاتخاذ عبادة الشمس كدين رسمي للبلاد وهو ما قام به مؤسسو الأسرة الخامسة.

وفي عهد الأسرة الخامسة نرى الملوك ينتسبون إلى رع وهكذا نرى أن هذا الاله الذي بدأ إلها محليا أمكنه أن يشمل كل النواحي، ولقد أدرك ملوك الأسرة الخامسة أن أول واجب عليهم هو إقامة المعابد الكبيرة المكشوفة لعبادة الشمس بجانب مقر إقامتهم (انظر شكل ٦ ب).



(أ) الكاواليا



(ب) أحد معابد الشمس المكشوفة

الاعتقاد في البعث والحساب:

انتشرت بين المصريين القدماء فكرة الحياة بعد الموت وذلك عن طريق حلول الروح مرة أخرى في الجسد الذي كان من الضروري أن يبقى سليماً. وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الانسان مكون من عدة قوى لكل منها وظيفتها، فإلى جانب الجسم وهو الجزء المنظور من قوى الانسان يوجد القرين (الكا) الملتصق به، وهو شبح للإنسان من مادة خفيفة لا ترى وكان هذا القرين يشبه صاحبه كل الشبه. وقد صور الكا على هيئة ذراعين مرفوعين انظر الشكل رقم ٦ – أ وكان بقاء القرين (الكا) حيا متوقفا على بناء الجسم، ولكي يحتفظ الجسم بكيانه حنطوه ووضعوه في مقابر محصنة بعيدة عن أيدي اللصوص وبنيت أو حفرت في الجهات الجافة أو الجبلية لكي تكون بعيدة عن الرطوبة التي تحلل الأجسام و تفسد التحنيط، وإلى جانب السكاكان للإنسان ما يسمى (البا) أي الروح، وكانوا يصورونها في شكل طائر له راس انسان. ويلاحظ أن هذه القوى التي ذكرناها كانت قابلة للفناء إذا أهمل أمرها، فاذا خفيت مات الشخص مرة ثانية او بعبارة أخرى انمحى وجوده. واقد وضع المصريون في هذه المقابر الجافة جثث موتاهم وبذلك ضمنوا خلود الجسم والقوى الاخرى. وكانوا إلى هذا يؤدون الصلوات ويقدمون القرابين في مقابر موتاهم ليحفظوا حياة القرين (الكا) والروح (البا). وكان (الكا) يلازم المكان الذي وضعت فيه الجثة اما الروح فلا تلازم هذا المكان بل تتصل بالإله على إنها تعود للمقبرة لزيارة الجثة من حين لآخر. اما فكرة الحساب بعد الموت أمام محكمة أوزيرس تصور أوزيرس

باعتباره إله الموت وملكهم رئيسا للمحكمة فكان يصور جالسا في قاعة العدل وإلى جانبه يجلس القرفصاء اثنان واربعون قاضيا وكان على المتوفي ان يظهر أمامهم ويثبت براءته وانه طاهر لم يرتكب أي اثم. وللتأكد من صدق المبيت يوزن القلب مقابل الحق مرموزا له بريشة نعام وهي العلامة الخاصة بآلهة الحق ومن هذه الريشة التي توضع في الميزان في كفة يقابلها القلب في الكفة الأخرى تظهر أثام الميت أو طهارة قلبه، فإن رجحت الكفة التي فيها الريشة فهذا دليل على صدق أقوال الميت وطهارته وحسن أعماله فيدخل إلى ملكة أوزيريس، أما إذا رجحت كفة القلب اعتبر الميت من المذنبين ودلاله على سوء أفعالة وتوفر خطاياه، وبذلك يلقى إلى حيوان فظيع كان يأكل الأحشاء في يوم الحساب الكبير.

المعبودات: كان للمصريين وبخاصة في العصور المتأخرة عدد هائل من الآلهة وكان الاله المحلى يمتزج غالبا بأي إله تتم له السيادة، وكانت عبادة حوريس هي السائدة في الأسرات الأولى والثانية والثالثة ثم في الأسرة الرابعة أخذت تنتشر عبادة رع ومجيء الأسرة الخامسة أصبحت ديانة مصر الرسمية.

ومن الآلهة التي كان لها شأنها أيضا الإله أوزيريس إله الموتى الأكبر وقد انتشرت عبادته منذ القدم في كل مصر. هذا ويلاحظ أنه كان لكل مدينة معبودها الخاص ولكل معبود كهنة خاصة به يعملون على خدمته واقامة الطقوس الدينية له في معبده. وكان إذا ارتفع شأن واحد من الآلهة نجد أن الآلهة الأخرى تحاول الانتساب اليه كما حدث مون

فاتحد مع الإله رع في كلمة آمون رع طبقا لشرائط مذهب عين شمس المفضل إذ ذاك.

عبادة الحيوان: لم تكن عبادة الحيوان قاصرة على مصر وحدها بل أن كثيرا من الأمم القديمة شاركها في ذلك. وقد قامت هذه العبادة على أسباب شتى لعل أهمها. الحب والخوف ما كانوا يخافونه عبدوه اجتنابا لشره وما أحبوه عبدوه اجتلابا لخيره واعترافا بفضله. وقال، وجد المصريون تقاربا وتشابها بين الحيوان والانسان فضلا عن اعتقاد المصري منذ القدم بأن الآلهة تتجسد في مختلف الحيوانات وأشهر هذه الحيوانات العجل ابيس الذي يتجسم فيه بتاح في منف.

تطور بناء المقابر: كانت المقابر في عصر ما قبل الاسرات عبارة عن حفر بسيطة أما بيضاوية او مستديرة وقليلة العمق وكان الميت يوضع على هيئة القرفصاء أي بشكل يشبه الجنين في بطن أمه ويوضع على جانبه الأيسر ويداه امام وجهه وتحط بالميت الأواني الفخارية المملوءة بالطعام وبعض ادوات الزينة كالعقود. ولقد تقدم المصري في احواله الحضرية وتعلم كيف يشكل طمي النيل بأشكال مختلفة، وأنه يصبح صلبا إذا جف فبطنوا هذه الحفر بجدران سميكة من الطمي وهذه الجدران سمحت بأن يصبح للمقبرة سقفا. وبعد ذلك وجدوا أن المقبرة يسهل تسقيفها وتبطينها إذا كانت مربعة أو مستطيلة وهكذا اكتشفوا الزوايا كما أنهم اهتدوا إلى طريقة البناء بقوالب اللبن فبنوا جدران المقبرة به وأصبح شكل المقبرة المحفورة في الأرض مربعا أو مستطيلا بعد ذلك

التطور عمقوا هذه الحفرة المربعة أو المستطيلة وجعلوها تنتهي في باطن الأرض مدخل يوصل إلى حجرة أصبحت هي حجرة الدفن كانوا يعلقونها بعد وضع الجثة فيها ثم يملئون البئر بالرمال أو الحصى. وبعد ذلك الدرجة الثانية من التطور أن يخصص بجانب حجرة الدفن حجرة أو أكثر لوضع الأواني المملوءة بالمأكل والمشرب. وهذه الحجرة التي كانت مستعملة كمخزن للأواني المملوءة بالطعام أو الشراب تطورت بأن أصبحت أكثر من حجرة. وفي عصر الأسرة الأولى والثانية تعددت الحجرات المبنية تحت سطح الأرض، ولو أنهم استعملوا الحجر في المقبرة في بعض الأحيان فكسيت به أرضية حجرة الدفن أو أقيمت جدران حجرة الدفن كلها من الحجر كما في مقبرة خع سموى.

أما عن المقبرة في عصر الدولة القديمة، ففي أوائل عصر الأسرة الثالثة كان المصريون ملوكهم وأفرادهم لا يزالون يستعملون القوالب المصنوعة من اللبن في بناء مقابرهم، وأكبر دليل على ذلك أن الملك زوسر نفسة بني مقبره من اللبن في بيت خلاف في مصر الوسطى على شكل مصطبة ثم تركت هذه المصطبة وبني الملك لنفسه مقبرة من الحجر الجيري الأبيض في منطقة سقارة، وهي التي تعرف باسم الهرم المدرج وهو أول هرم عرف عند المصريين والهرم الثاني الذي يمثل الحلقة الثانية من تطور أهرامات الدولة القديمة هو الهرم المنكسر الأضلاع الموجود جنوب دهشور، والهرم الثالث الذي يمثل لنا الحلقة الأخيرة من تطور الأهرامات هو هرم سنفرو في دهشور.

ثم بعد ذلك نجد الحرم المعروف وهو هرم خوفو ثم هرم خفرع ثم هرم منكاورع.

أمحوتب: كان في الأصل موظفا كبيرة في عهد الملك جسر (زوسر) وقد الله في العصور المتأخرة، واتخذ ابنا لبتاح كما اعتبر الها للطب. وهو يمثل جالسا وعلى ركبتيه قرطاس منشور من البردي.

هرم زوسر: يوجد هذا الهرم في منطقة سقارة وهي المنطقة المقابلة للعاصمة القديمة منف واستعمل فيه فنا معارية جديدة من ناحية الشكل والموضوع وهذا الأثر هو نتيجة لعبقرية رجل اسمه أمحوتب الذي كان موظفا كبيرا في عهد الملك زوسر، وقد اعتبره المصريون إلها للفن والهندسة، والهرم المدرج بناه من الحجر الجيري الابيض بناه الملك زوسر وهو يعتبر أول بناء حجري كبير في تاريخ مصر.

وقد بني الهرم في وسط مكان واسع مسور بسور عال. وبنى الهرم بحيث يتكون من ستة درجات يعلو الواحدة منها الأخرى وكل منها أصغر من التي تحتها. وارتفاع الهرم كله حوالي ٦٠ متر وتبلغ طول قاعدة الهرم من الشرق إلى الغرب ١٢٥ مترا ومن الشمال إلى الجنوب ١٠٩ متر، وعلى هذا فالقاعدة ليست مربعة بل مستطيلة، وليس من شك في أن الهرم بني على أساس أن يكون في أول الأمر مصطبة ثم أحيطت بزيادات من جميع النواحي ثم بعد ذلك أزيدت فقط من الناحية الشرقية، ثم بدأت فكرة بناء الهرم المدرج، فوسعوا القاعدة من كل جهاتها وبنوا عليها هرماً مدرجاً مكونة من أربع درجات ثم بعد ذلك أزادوا هرما ثانيا

مكونا من ستة درجات. ويلاحظ أن مدخل الهرم موجود في الشمال.

ولقد أقيمت حول الهرم مبان حجرية ويدور حول الجميع سور طوله ٥٤٥ متر وعرضه ٢٨٠ متر و ارتفاعه ١٠ امتار.

الهرم الأكبر:

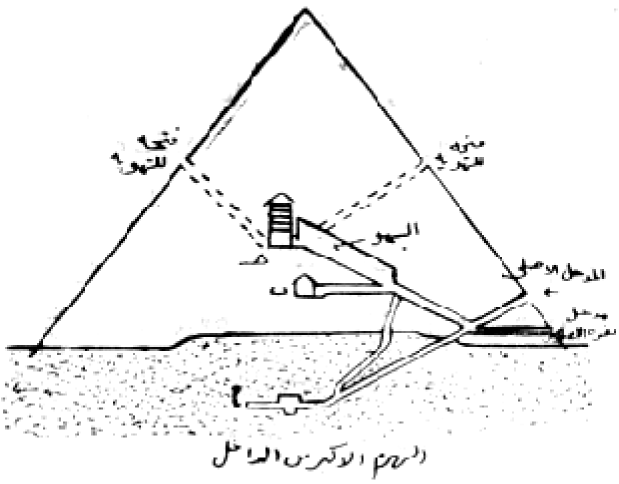
بناه الملك خوفو ثاني ملوك الأسرة الرابعة في منطقة الجيزة على هضبة مرتفعة، وقد بنى الهرم على مساحة قدرها ١٢ فداناً .. وارتفاع الهرم الأكبر الآن حوالي ١٣٧ متراً وكان ارتفاعه وقت البناء ١٤٦ مترا، وتبلغ طول قاعدة الهرم الآن ٢٢٧ مترا وكانت في الأصل عندما كان الهرم مكسوا بكساء من الحجر الأبيض حوالي ٢٣٠ متراً، وتواجه أضلاع الهرم الجهات الأصلية تماما وتبلغ عدد الحجارة التي استعملت في بناء الهرم حوإلى ٢,٣٠٠,٠٠٠ حجراً زنة الكتلة الواحدة طنان و نصف طن. وتبلغ كتلة البناء حوإلى١,٥٢١,٠٠٠ متر مكعب..

ويذكر هيرودوت أن العمل في بناء الهرم استغرق عشرين عاما وكان عدد العمال مائة ألف رجل يحل محلهم غيرهم كل ثلاثة شهور ولقد قطعت بعض الاحجار من المحاجر الموجودة في منطقة الهرم نفسها والبعض نقل من محاجر طره على الضفة الأخرى للنيل على زحافات خشبية ثم يستأنف نقلها إلى هضبة الأهرام. ويذكر البعض انه كان يعمل طريق منحدر يصل إلى البناء تنقل عليه قطع الأحجار، والبعض الآخر يذكر أن الحجارة كانت ترفع بواسطة بكرات وكلا الرأيين غير مؤكد. وقد أثبتت الأبحاث أن الهرم الأكبر بني على ثلاثة مراحل.

المرحلة الأولى لهرم صغير فيه حجرة الدفن منقورة في الصخر تحت الهرم نفسه وهي الحجرة (أ) والمرحلة الثانية وفيها كبرت مساحة القاعدة وزاد علو الهرم وأصبحت حجرة الدفن هي الحجرة (ب) التي تسمى خطأ بحجرة الملكة اما المرحلة الثالثة فيظهر فيها الهرم بشكله الحالي، وحجرة الدين هي الحجرة (ج) وقد كسيت هذه الحجرة من الداخل بلوحات من حجر الجرانيت ولقد فرغوا خمسة حجرات فوق الحجرة (ج) لتقليل ضغط البناء على الحجرة (ج) وهناك فتحتان للتهوية أحدهما تتجه نحو الجنوب والاخرى تتجه نحو الشمال. والمدخل الأصلي للهرم يقع في الجانب الشمالي على ارتفاع ١٥ متر من سطح الهضبة. ويلاحظ أن لكل هرم معبدان أحدهما ملاصق للهرم من الجهة الشرقية ويسمى بالمعبد الجنازي وتقام فيه الطقوس الدينية للملك المتوفي، أما المعبد الآخر فهو في الوادي ويطلق عليه معبد الوادي ويصل بين المعبدين ممر مسقوف يسمى بالطريق الصاعد للوصول منه إلى المعبد الجنازي. (انظر شكل ٧)

ما يدل عليه بناء الهرم:

يدل بناء الهرم على أن العصر الذي بنى فيه كان عصر سلام لم تحدث فيه حروب ما ساعد على اتمامه. وقد بني الهرم على هضبة عالية حتى يشرف الملك على شئون رعاياه في الحياة الأخرى ويدل على نفوذ الملك القوى الذي مكنه من إتمام ذلك المشروع الضخم الذي يتطلب نظاما واستقرارا لا يتوفران إلا لمن ينفرد بالحكم دون مناوشات.



(شكل ٧)

نظام الحكومة:

الحكومة المركزية على رأسها الوزير. ولقد ظهرت وظيفة الوزير وهو رئيس الادارة المركزية وكل الأعمال الهامة تمر بمكتبه وكان يعاونه (رؤساء الارساليات) الذين كانوا يحملون اوامره وينقلون اليه

تقارير الادارات الاقليمية. ويرأس الوزير دور المحفوظات الملكية وهي كبيرة الأهمية وفيها كانت تحفظ ضمن مستندات أخرى هامة كالمراسيم الملكية ومستندات الملكية والعقود والوصايا.

كبير القضاة:

والوزير هو الرئيس الأعلى للعدل وهذه الصفة يرأس البيوت الكبيرة الستة أي الست قاعات الكبيرة المخصصة لجلسات الدولة. وكانت للوزير الادارة العليا للخزينة ووزارة الزراعة.

سلطة الملوك: اعتبر القوم الملك صاحب الحق المطلق على معظم أراضي القطر. أما خدام الاراصى فكانوا من طائفه الخدم أو العبيد التي اشتملت الجزء الأكبر من الرعية. وكان المصريون يعتبرون الملك الها أكثر منه انسانا وأطلقوا عليه لقب الاله الطيب. وكان موظفو الملك ووزراؤه لا يكافؤون بمال بل بالطعام والكساء. وكانت أملاك الملوك واسعة وزاد اتساعها بتوحيد البلاد ثم بدأ الملك ينعم بإقطاعيات كهبات وهكذا بدأت أملاكه تتقلص تدريجا. وكانت المصاطب تلتف أول الأمر حول هرم الملك ثم وجدناها تنتشر شمالا وجنوبا وفي هذا دلالة على تقلص نفوذ الملك وان المركزية بدأت تقل فكرتها حتى أصبحت السلطة في أيدي الحكام في المقاطعات. وكان للملك في ميدا الأمر قلعته الخاصة وخدمة وموظفوه بعينهم أو بفصلهم وعلى رأسهم موظف كبير يوكل اليه تنفيذ أوامر التاج ورغباته. وكان الملك في مبدأ الأمر صاحب سلطة ونفوذ يعترف بهما الجميع ويهابونه، وكان يجمع بين يديه كل السلطات وكان الملك إذا سافر قابله امراء الاقطاع عند حدود اقطاعاتهم وساروا في ركابه، وقدموا اليه الهدايا وكان يقف على خدمة الملك عدد كبير من القواد وغسلوا الملابس وحراس خزائنها، ومنهم من يقوم بتزيينه ومن يقوم بتعطير جسمه، وكان الموظفون أيام الملكية في الأسرة الرابعة عمالا للملك يعملون لحسابه الخاص وكانوا يتصرفون طبقا لأوامره ونواهيه وكانت تدفع لهم أعطيتهم. إما من منتجات الأملاك الملكية أو من الضرائب.

كان الملك في الدولة القديمة يتمتع بنفوذ وسلطان مطلق على البلاد جميعها وعلى رعاياه، وبلغ احترام المصريين له إلى درجة التقديس في حياته وبعد مماته. وكان الملك يسكن قصرا كبيرا يعرف بالبيت العظيم ويعتبر مقراً للملك والحكومة ولهذا القصر بابان رمزا إلى مملكة الشمال ومملكة الجنوب. وكانت اعمال الملك كثيرة فهو يستقبل الوزراء والمهندسين ويبحث جميع حاجيات البلاد وكان له عدد من الموظفين على رأسهم الوزير، وينوب عن الملك في حكم المقاطعات عدد من الحكام فلما ضعفت الملكية أستقل الحكام مقاطعاتهم.

صفاتهم الإلهية: كان الملك في اعتقاد المصريين إلها يمثل على الأرض. وفي الاساطير أن أوزيريس ترك الملك لابنه حر (حوريس) ومن هذا الأخير انحدر في زعمهم كل ملوك مصر وبناء على ذلك يكون حق الملك قائما على طبيعته الإلهية التي كانت تنتقل مع الدم. وفي عهد الأسرات الأولى لم تكن الوهية الملك مؤكدة الا تبعا لتسلسله من حوريس فكان الاسم الذي يتسمى به الملك عند توليته للعرش يكتب داخل إطار مستطيل يمثل صورة موجزة للقصر الملكي وترسم فوقه صورة البازى حوريس. وكان الملك يتخذ هذا الاسم عند توليه العرش أي تنصيبه في وظيفة حوريس وبما أنه من دم ألهي فانه كان يصبح اذ ذاك صورة من حوريس ذاته. وعندما اعتنق مؤسس الأسرة الخامسة مذهب مدينة عين شمس أصبح إله الشمس هو الاله الاعظم الذي انسل الآلهة الاخرين وأخذ الملوك يسبقون اسمائهم عند تتويجهم بعبارة "ابن

الشمس"، وأعلنوا أنفسهم ورثة رع في سلطانه وأصبح الناس في الدولة القديمة يلقبون الملك بالإله الأعظم أو الاله وفي الدولة الوسطى أصبحوا يلقبونه بالإله الطيب.

الحكومة المحلية: قسمت مصر إلى اقسام صغيرة وذلك تسهيلا لبسط نفوذ الحكومة على جهات القطر. وكان الملك يعين على كل قسم أو على كل اقليم حاكما من قبله يحمل لقبا يعادل مدير البلد وكان يشرف على القضاء إلى جانب الاعمال الكتابية وجباية الضرائب فهو بذلك برأس ادارة صغيرة تقوم باختصاصات الحكومة في هذا القسم كالمالية والقضاء والادارة ومساحة الأراضي وإقامة الجسور وحفر الترع ومخازن التموين ولذلك تطلبت ادارة كل قسم عددا كبيرا من الكتبة والمسجلين ومقدارا عظمها من السجلات والقوائم.

حكام الأقاليم وواجباتهم

أولا -جمع الضرائب- كان يقوم بجمع الضرائب حكام الاقسام وكانت الضرائب سنوية وكانت من الحبوب والماشية والطيور والمصنوعات وغير ذلك مما يجمعه الحكام من الأقسام من سكان البلاد وذلك لأنه لم تكن هناك عمله وقتئذ، وكانت هذه الضرائب تورد إلى ادارة الحكومة المركزية. وقدكانت ضريبة الغلال أهم جزء من الضرائب.

ثانيا -النظر في القضايا- كان القضاء عملا اضافيا بالنسبة لحكام الاقليم وكان يشترط في حكام الاقسام الالمام بالقانون والقيام بأعمال القضاء في دائرة اختصاصهم إذ كانوا موظفين قضائيين واداريين،

فكانوا قضاة ورؤساء مناطق في دوائرهم. ولقد كانوا شديدي الولع بالألقاب، لأنهم كانوا ينشئون لقبا خاصا لكل عمل من أعمالهم القضائية والادارية مثال ذلك والمشرف على الكتاب القضائيين.

الموظفون

ازداد عدد الموظفين في الدولة القديمة وبخاصة الكتاب. وكان المصريون ينظرون إلى الكتاب نظرة تنطوي على الكثير من التقدير حتى أن المدرسة التي كان يتخرج منها الكتاب كانت تسمى ود دار الحياة، وكان الموظفون افي الاسرة الرابعة عمالا للملك يعملون لحسابه الخاص وكانوا يتصرفون طبقا لأوامره، وكانت تدفع لهم أعطيتهم اما من منتجات الأملاك الملكية او من الضرائب. وكلما اظهر الموظف كفاءة خاصة عند إليه بأعمال اهم حتى يكون ذلك مشجعا له على التفاني واظهار كفاءته. وكانت مكافأة كبار الموظفين التي يهدفون اليها ويسعون إلى تحقيقها، هبة ملكية وذلك بتكليف العمال لإعداد مقابرهم بما يتطلبه من توابيت وموائد قربان وابواب وتماثيل. وهكذا بدأت أولى علامات السخاء للممتازين من طبقة الموظفين.

الإدارات الحكومية:

كانت هناك إدارة مالية مركزية ومن ضمن اختصاصها الاشراف على أثواب الملك وحليه وحفظها وكانت خزينة مالية الدولة هذه تستخدم موظفين مختلفين هم المشرف، وكتبة الخزينة وكان واجبهم يتضمن جمع وتقدير قيمة الأشياء الثمينة والعطور المستجلبة من بلاد البخور وكذلك المعادن المستخرجة من المناجم وكتل الأحجار الثمينة المقتطعة من الجبال.

ويبدو أن أقساما أخرى أيضا من أملاك الدولة كانت لها إدارات مركزية متشابهة وعلى الأخص مخازن الغلال، وكان المشرفون عليها هم الذين يتولون جمع ضريبة الغلال. كما كانت توجد إدارة مركزية للإشراف على الأراضي الزراعية بسبب الفيضان الذي استلزم وجود قيادة موحدة.

وكانت الادارة العليا للقضاء مركزية أيضا تقوم على رأسها، وظيفة كبير القضاء التي انحصرت دائما في أيدي الوزراء في الدولة القديمة.

العلاقة بين الأمراء والملك:

كان الملك يعين على كل اقليم حاكما من قبله وكان يشرف على القضاء إلى جانب الأعمال الكتابية وجباية الضرائب، وقد كان يتمتع بسلطة كبيرة داخل حدود ولايته. وكان حكام المقاطعات في النصف الأول من الدولة القديمة خاضعين لنظام النقل من مكان إلى آخر. وكانوا خاضعين للحكومة المركزية وكانت قبورهم تبني حول أهرامات الملوك وبإذن خاص من الملك. أما في النصف الثاني من الدولة القديمة لم يستعمل الملوك حق العزل فقويت الروابط بين الحكام ومقاطعاتهم وضعفت صلتهم بالبلاط تدرجية وأخذوا يقيمون المقابر في مقاطعاتهم وأصبحت مراكزهم وراثية وذلك لأن الملوك في النصف الثاني من الدولة القديمة أعطوا هؤلاء الحكام شيئا كبير من السلطة فبدأ هؤلاء الحكام يسلبون السلطة من الملك وأحاطوا أنفسهم بالحرس والموظفين وأصبح كل منهم أشبه بملك صغير وأطلقوا على أنفسهم اسم أمراء الأقاليم بدلا من حكام الاقاليم وأصبح هؤلاء الأمراء قوة يخشاها كل من يجلس على عرش مصر.

الفصل الثاني

طبقات المجتمع

فرعون - كان يعتبر إلها أكثر منه انسانا، وكانت له أملاك واسعة، وكان في مبدأ الأمر صاحب سلطة ونفوذ يعترف بها الجميع ويهابونه. وكان يسكن قصرا كبيرا يعرف بالبيت العظيم وكان مقرا للملك والحكومة.

وكان يطلق على الملك الإله العظيم، وكانت المصاطب أول الأمر تلتف حول هرمه، وكان الموظفون أيام الملكية في الأسرة الرابعة عمالا للملك، يتصرفون طبقا لأوامره وتدفع لهم أعطيتهم إما من منتجات الأملاك الملكية أو من الضرائب، أخذ نفوذ الملك يتقلص رويدا رويدا في النصف الثاني من الدولة القديمة حتى أصبحت السلطة في أيدي حكام المقاطعات.

الأمراء - كان الملك يعينهم على الاقاليم حكاما من قبله ويتمتعون بسلطة كبيرة داخل حدود ولاياتهم، وكانوا خاضعين للحكومة المركزية وخاضعين النظام النقل وكانت مقابرهم تلتف حول أهرامات الملوك. وقد كانوا يشرفون على القضاء والضرائب إلى جانب الاعمال الكتابية، ثم قويت الروابط بينهم وبين مقاطعاتهم وأخذت صلتهم بالبلاط تضعف، وأخذوا يقيمون المقابر في مقاطعاتهم، ويسلبون السلطة من الملك تدريجيا، وأصبحت مراكزهم وراثية وأحاطوا أنفسهم بالحرس والموظفين وأطلقوا على أنفسهم أمراء الأقاليم.

رجال الدين - كانت توجد أعمال دينية تحتاج إلى خدمة مستمرة في المعبد وهذه كانت بطبيعة الحالي تستند إلى رجال دينيين محترفين وكان في كل معبد عدد كبير من الكهنة يرأسهم رئيس الكهنة. ويقوم الكهنة بأداء الطقوس الدينية في المواسم والأعياد، وكان كبار كهنة المعابد العظمى يتبوؤون مركزا ممتازا ويحملون ألقابا تبرزهم كشخصيات ممتازة جدا، يمكن القول بأنها تكاد تكون خارج نطاق رجال الكهنوت العاديين، فكبير كهنة هليوبوليس مثلا كان يطلق عليه الكبير في النظر، و"رئيس أسرار السماء" كما لو كان كبيرا للفلكيين.

ولقد كان تأسيس الاسرة الخامسة بإيحاء من كهنة هليوبوليس فرصة كسبوا من ورائها سلطانا ولم يقوم الملوك بعد ذلك على استرجاع سلطتهم الكاملة التي كان يتمتع بها ملوك الاسرة الرابعة. ولقد كان بين القاب الملك القب سارع (أي ابن الشمس) وهذا اللقب يوجد بصفة متقطعة في الأسرة الرابعة و بصفة دائمة منذ عهد « نفر إير كارع، ثالث ملوك الأسرة الخامسة وهذا اللقب يرجع إلى ارتباط العرش بالكهانة وهو طريق للتعبير عن تبعية هؤلاء الملوك الوثيقة للإله رع وكهنه أون ما أضعف في الواقع نفوذ الملكية، وقد بلغ من ازدياد نفوذ كهنه رع أن تمكنوا من السيطرة على الحكم بعد انتهاء الأسرة الرابعة.

وقد كانت الوظائف الكهنوتية متوارثة. وكان اللكنة يحصلون على مرتباتهم من منتجات الأراضي الموقوفة على المعابد.

أرباب الحرف والصناعات

لم يكن حظ أرباب الحرف والصناعات خيرا من الفلاحين ، إذ كانوا في رأى الكتاب المصريين بؤساء ومسا كين يقضون حياة غير مجيدة، ولكن فان ما حفظ لنا من أعمال أولئك الصناع في المعادن والأخشاب ليدل على أن الصناعة في مصر حظيت بمنزلة رفيعة وإنها بلغت مستوى أرقي بكثير جدا عما بلغته العلوم والآداب فالصناع الذين أبدعوها لا يمكن أن يكونوا على نحو ما صورتهم الطبقات المتعلمة من بؤس وهوان.

الرقيق

كان الناس أحرارا .. وهناك رسائل تدل على عدم وجود الرقيق، فالفلاح كان يعمل بأجر ولمدة معينة، ومع ذلك كانت الأرض تنتقل ملكيتها بمن فيها من زراع ولكن هذا لا يعني بيعهم إنما المقصود أن جميع حقوق المالك عينية وشخصية تؤول مع الأرض المنقولة ملكيتها. أما أسرى الحرب فهم الرقيق لأنهم كانوا يعملون بدون أجر.

كان عمل السخرة قليلا جدا في العصور الأولى، وكان عبيد الأرض مرتبطين بالأرض ولهم منازلهم الخاصة، ولكنهم لم يكونوا يباعون. أما أسرى الحرب فكان أمرهم يختلف فانهم ينقلون بدون سؤال إما بواسطة الملك أو عن طريق البيع.

جاء بعض الرقيق إلى مصر كأسرى حرب أو عن طريق التجارة، وقد وصل كثير منهم إلى مناصب رفيعة وكانوا بطبيعة الحال يعمدون عن رغبة ورضى

إلى اتخاذ الطابع المصري وهناك مثلا (مرى رع) حامل سلاح تحتمس الثالث وأخاه الكاهن أوسرين فقد كانا ابني رجل أسيوي اسمه باعمري.

ويتحدث كثير من المؤرخين عن الوحشية التي قاساها المصريون في بناء الأهرام والواقع أن الهرم الأكبر كان يبني في وقت الفيضان حين لم يكن هناك عمل زراعي لدى الفلاحين لأن المياه كانت تغمر الأرض وكانت الأماكن التي يعيشون فيها شبه جزر وكان أجرهم إطعامهم، وكان العال العاطلون يقطعون الأحجار من منطقة الهرم نفسها وأحجار الكسوة من طره ويأخذون لقاء ذلك خبزه وكساءهم، وليس في هذا لون من ألوان السخرة أو الاستعباد، بل إن مصر هي إحدى البلاد التي لم تعرف السخرة والاستعباد قبل عهد الامبراطورية الوسطى حين كان الأسرى يدفعون إلى العمل فيستعيدون من هذا الطريق.

الحياة في قصور الملك والأمراء: لم يكن الملوك بأقل من أفراد رعيتهم حبا في الاستمتاع بملذات هذا العالم ومباهجه، وقد كان المصري يحيا حياة سعيدة على قدر طاقته، ويقضي يوما سعيداً على حد تعبيرهم باللغة المصرية القديمة لقد كان الملك يعيش في قصر يلائم ما لمصر من ثراء ورخاء وما لملكها من قوة وسيطرة، بل أن الملك كان يأنف أن يسكن قصر من يسبقه ولو كان والده. فكان يعمد إلى جهة يختارها في العاصمة أو على مقربة منها وتقع عادة على شاطئ النيل أو على ترعة تتفرع منه ويأمر ببناء قصر له، فيبدأ العمل بغرس الأشجار حولها ثم يبدأ البناء وكان يبني عادة من اللبن. وكان القصر يزخرف

ويضفي اليه من روعة وبهاء، وكان قصر الملك يحفل بالكثير من العبيد والسرايا وكان الملك حراً في أن يتزوج من يشاء. وقد كان القصر أشبه بالمدينة منه بالقصر. وكان مؤلفا من عدة أبنية بعضها إلى جانب بعض وكان القصر حافلا بكل ما يتصوره العقل من أسباب الرفاهية والرقي، فهناك الحدائق تتخللها الجداول والبحيرات وهناك الأحراش التي ينزل اليها الملك للصيد والقنص.

وكان يقوم بخدمة الملك وحده زهاء ثلاثين أو أربعين فرقة تختص كل واحدة منها بعمل معين. فهناك فرقة يد الملك وصيانتها وتقليم أظافرها وفرقة تقوم بحراسة التيجان واعدادها للمناسبات، وفرقة تقوم بحياكة الثياب وأخرى بغسلها والمحافظة عليها، وفرقة السحرة، وفرقة الموسيقيين والموسيقيات وفرقة الراقصات وغيرهم ممن يعهد إليهم في مهمة تسلية الملك وأمر لهوه.

وعند ما كانت تقام الولائم كان الغناء من أهم الأشياء التي توجد مع فرقة الموسيقى، وكان عازف الجنك يعزف لسيده منفردة عند ما يتناول وجباته.

وكان الخدم في منازل الأمراء ينسجون على أنوال أو يقومون بإعداد الطعام وكان على الخدم قبل كل شيء أن يعنوا بتسلية سيدهم في بيته فإذا ما تعب السيد من الصيد أو الرياضة واعترته السآمة والملل واستراح معتكفا في قاعته، وقد استرخي على مقعد عريض إلى جانب زوجته والمذبة في يده، والخدم حوله يقضون ساعات الفراغ في الألعاب والملاهي.

وما كان ينبغي أن يخلو احتفال من الرقص إذ كان يعتبره المصريون تعبيراً طبيعياً عن الفرح. وكانت الرقصات الجميلة يقوم بها في الدولتين القديمة والوسطى نساء المنزل أمام سيدهن أو سيدتهن، ولا يخلو الأمر من وجود نساء يصفقن بالأيدي وغالبا ما كان يصحب ذلك الموسيقى. وكان الغناء والموسيقى لازمين في كل حفل ولا يخلو منهما اجتماع كبير.

وفي منظر في مقبرة أحد الأشراف (مروروكا) نرى السيد رب المنزل جالسة على السرير في استرخاء ويستمع إلى غناء زوجته على الجنك. وبينما كانت الراقصات والمغنيات في الحفلات يتولين اشاعة البهجة والسرور في قلوب الأضياف كان لدى هؤلاء من الأشياء الأخرى ما يشغل تفكيرهم، فقد كانوا يشربون ويتجاذبون أطراف الحديث، ويشغلون أنفسهم بأمور زينتهم خاصة إذ كان يعتبر المصريون القدماء من مستلزمات الحفل المنزلي أن يضمخ الخدم الضيوف بالطيوب والزيوت ويكللوهم بعقود الأزهار وتيجانها وأن يضعوا القلائد حول جيدهم وأزهار اللوتس فوق جدائل شعرهم المستعار.

الحياة العائلية: كانت المرأة في مصر القديمة التي تعد زوجة شرعية واحدة هي (سيدة المنزل) ولكننا نلاحظ أيضا عند ما ندقق النظر في أحوال بيت ثرى أنه يوجد إلى جانبها عددا من المغنيات وغيرهن من الخادمات من بيت الحريم. وكانت العلاقة بين الزوج وزوجته تصور في جميع العصور مخلصه وفيه فهما يقفان الواحد منهما إلى جانب الآخر أو يجلسان معا على مقعد عريض وتلف المرأة ذراعها في رفق حول عنق

زوجها، أو تضع يدها على إحدى كتفيه أو تتشابك أيدهما معا، ويقف الأولاد في الغالب إلى جانب الوالدين أو يجلسون القرفصاء على الأرض إلى جانب مقعد الأم. وتساعد الزوجة زوجها في الاشراف على شئون المنزل، وهي وأولادها ينظرون اليه عند ما يصيد الطيور أو ترافقه في رحلاته بقوارب الصيد الخفيفة خلال المستنقعات.

وكانت حالات تعدد الزواج الحقيقية تعتبر استثناء وقلما نجد زوجت تحكمان في بيت في وقت واحد، بيد أنه توجد مع ذلك أمثلة قليلة في العطور المختلفة ..

وساوت الزوجة الرجل في كل أمر وكانت تعامل بكل احترام، ودائما وكانت تشارك زوجها وأولادها في أفراحهم وما أكثر احترام الأطفال في تلك العصور لآبائهم.

تربية الاطفال

كانت تنشئة الطفل الأولى يتلقاها بطبيعة الحال من أمه فهي التي كانت ترضعه ثلاث سنوات وتتولى حمله، وكانت الأسر الغنية تستأجر المرضعات وكان لهن فيما يبدو مركز ملحوظ. وفي عهد الطفولة الأولى هذا كان يخرج الصبيان والبنات في كثير من الأحيان أيضا في عصر الدولة القديمة عارين متجردين تماما. ومنذ عصر الدولة الوسطى لم يعد يصور اطفال الأسر الراقية عراة بتاتا تقريبا. وكان يتميز كثير من الأطفال بشارة خاصة تتمثل في خصله من الشعر مضفورة وقصيرة تتدلى على الجانب الأيمن من جباههم.

وكانت لعب الأطفال عبارة عن دمي أطفال صنعت من الكتان أو الخشب بعضها ذات أذرع وأقدام متحركة، وتمساح من الخشب دقيق الصنع يستطيع أن يفتح فيه ويقفله كما كانت هناك الحذاريف (ألاعيب الأطفال المعروفة بالنحل). وإلى جانب هذا كانت تعد الزهور والطيور الحية لعبا محبباً إلى النفس.

ويأتي بعد مرحلة الطفولة دور التنشئة (التربية). وكان يعتقد المصريون أن واجب الأب يقضى عليه الاشراف على تربية أولاده في هذه المرحلة (كما يدل على ذلك أدب الحكم والنصائح) أما في واقع الأمر فان أولاد الطبقات الراقية كانوا يؤخذون غالبا في هذه السن المبكرة من منازلهم ويرسلون إلى بلاط الملك ليتربوا ويتثقفوا مع أبناء الملك، أو يكون عليهم أن يدخلوا مدرسة تابعة لإحدى مصالح الحكومة لكي يعدوا أنفسهم لحياة الوظيفة الرسمية. وإلى جانب التعليم العلي الصرف، والتمرينات الرياضية كالسباحة فان مقرر التربية كان يتألف قبل كل شيء من تعليم فلسفة الحياة العملية وقواعد اللياقة وآداب السلوك ولقد أمكننا أن نستدل من كتاب كتب في عصر الملك أسوسى) من الاسرة الخامسة على الطريقة التي كان على الوالد أن يتبعها في تربية ابنه فلا يجب على الانسان أن يستكبر ويتعجرف من أجل ما أوتي من علم وثروه ولكن ليجعل الأمر شورى مع الجميع.

وإذا كنت في منزل غريب فلا تنظر إلى النساء بل تزوج، ولقد عنى أيضا بواجبات اللياقة عند الاكل فقال (عند ما تجلس إلى مائدة أحد

الكبراء فخذ إذا أعطاك ما هو موجود امامك ولا تنظر إلى ما وضع أمامه بل انظر إلى ما وضع أمامك أنت)

فهذه القواعد المتعلقة بآداب السلوك تكفي للدلالة على مقدار الأهمية التي كانت تعلقها الطبقات الراقية على مقتضيات اللياقة وأدب السلوك.

فالمصريون كانوا يقدرون التعليم بسبب التفوق الذي يناله الرجال المتعلمون على غير المتعلمين في شئون الحياة فكان التعليم بذلك هو الحد الذي يفصل بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة، وكان من يريد أن يكون كاتبا أو عالما يرسل في وقت مبكر إلى بيت التعلم أي المدرسة حيث كان يتربى مع أبناء الأمراء ويؤهل نفسه لأن يكون من هذه الطبقة حتى ولو كان من الطبقات الدنيا، وفي العصور القديمة كانت تلحق مدرسة الكتبة بالبلاط.

وكان وقت الدراسة يستغرق نصف اليوم فعندما يعلن الظهر (منتصف النهار) فان التلاميذ يغادرون المدرسة.

ألعاب التسلية

كانت توجد منذ العصور القديمة منتديات اللهو من ألعاب كثيرة يستطيع فيها الشبان أن يستريحوا من عناء أعمالهم فكان لديهم القوس والنشاب يطلقونه على أهداف اتخذت من جلد حيوان وكان لديهم أيضا تلك اللعبة المشهورة والتي كانت تدفع فيها أداة مدببة في كتلة من الخشب بواسطة قذفة ماهرة قوية.

ولقد كانت هناك لعبة مفضلة عند المصريين في جميع العصور وتشبه الشطرنج، ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن تحدد بوضوح وعلى سبيل التأكد كيف كانت تلعب هذه اللعبة المحبة إلى قلوب المصريين.

وهناك ألواح مقسمة إلى مربعات يختلف عددها كانت تستخدم في اللعب، ولها أحجار لعب مخروطية الشكل.

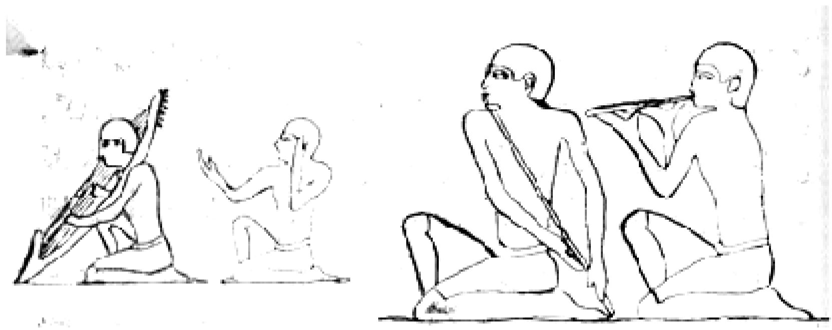
وهناك لعبة أخرى كانت تلعب على لوحة مستديرة يكون لها في الغالب مقبض تزود به وكان يرسم على هذه اللوحة التي وجدت منها أمثلة عدة في مقابر العصر الباكر –أفعي يبدو إنها مقطعة الأوصال ولكنها تلتف وتتلوى التواء حلزونيا، وتسمى اللعبة لعبة الأفعى ولا يعرف شيئا واضحا عن معنى وسير لعبة الأفعى.

وأهم الألعاب التي كان يزاولها القوم وهم جلوس، لعبة الشطرنج وهي من أقدم أنواع اللعب التي عرفها المصريون والتي تراها مصورة منذ عصر الدولة القديمة، وكانت رقعة الشطرنج تقسيم في المعتاد إلى عشرة مربعات طولا وثلاثة عرضا ويكون اللونين الفاتح والداكن على التوالي. أما قطع اللعب فقد كانت ذات أشكال والوان متعددة، وكان كل طرف من طرفي اللعب يلعب بقطع من نوع واحد، ويوجد في المتحف المصري مثال جميل لرقعة (لوحة الشطرنج وأدواتها وجدت بمقبرة توت عنخ آمون، وهي مصنوعة من العاج والأبنوس.

الموسيقى – كانت الموسيقى بارزة الظهور في الاحتفالات. كما كانت فرق الموسيقى ترافق رب البيت أحيانا في نزهته وعلى الأخص

عازف المزمار المزدوج. وكان المصريون يبتهجون باستماع الموسيقى أثناء ممارستهم لأشغالهم وخاصة وقت الحصاد حيث نجد الصبية يوقعون الحانهم على المزمار المزدوج وكان المصريون عامة شديدي العناية بالموسيقى، ولقد كان الغناء والموسيقى الازمين في كل فعل ولا يخلو منهما اجتماع.

وكان الجنك في جميع العصور أحد آلات الموسيقى (حوالي ٦ أو ٧ أوتار في الدولتين القديمة والوسطى) وكان المزمار أكثر الآلات ورودا وانتشارا إلى جانب الجنك منذ أقدم العصور، وكان يستعمل نوعان منه في الدولة القديمة أحدهما المزمار الطويل والاخر قصير، وكان المزمار يصنع غالبا من القصب (الغاب) وأحيانا من الخشب أيضا. (أنظر شكل ٨ أ، ب).



(شكل ٨ أ، ب)

الفصل الثالث

الصناعة

صناعة الأواني النحاسية - كان المصريون يستخرجون النحاس منذ أقدم الأزمنة من مناجم شبه جزيرة سينا والصحراء الشرقية حيث يوجد النحاس الأحمر بوفرة. وقد حفظ لنا منه العدد الوافر من الأواني والاسلحة والآلات.

ولقد كان النحاس الأحمر من أول المعادن التي أهتدي اليها الانسان. وأقدم ما وجد منه عقود ومثاقب ودبابيس وخواتم وغير ذلك. وفي أوائل عصر الأسرات استعملوا المدى والخناجر والخراب والبلط والأزاميل والمناشير والقواديم وغيرها من أدوات الصناعة وأدوات الزينة وكذا أدوات منزلية كالأحواض والطشوت.

وكانت خامات النحاس تسحق ثم تصهر، وبعد الصهر ترفع مواد الاحتراق ليبرد المعدن ثم يكسر إلى قطع أصغر للاستعمال وكان يسهل كسره بالطرق وكانت عملية الطرق تساعد على تنقية النحاس من الشوائب كما تساعد على تماسكه. وحين كان يراد تشكيل النحاس إلى أواني كانت تشكل عن طريق الطرق، أو عن طريق الصب في قوالب من الطين أو الحجر. وقد برع المصريون في تشكيل النحاس ومن أجمل القطع من النحاس طشت وإبريق عثر عليهما في مقبرة حتب حرس.

الأسلحة - كان لكل مقاطعة في الدولة القديمة فرقتها المحلية التي تأتمر بأمر أمير المقاطعة كما كان لها أيضا دار السلاح الخاص بها، وكان هناك إلى جانب ذلك فرق ضياع المعابد الكبيرة، وجنود أدارة بيت المال، وجماعات أخرى كانت تؤلف معا وعلى وجه التحقيق عددا كبيرا من الجند الا إنها لم تكن تفي بأن تؤلف جيشا متحدا.

وكانت الأسلحة التي تستخدم في القتال السهام وفؤوس القتال من النحاس فكانت الأسلحة الرئيسية لجنود الدولة القديمة هي القسي والسهام للقتال عن بعد، ومنذ الأسرة الخامسة هناك ما يدل على استخدام الجعاب في بعض الأحيان للسهام التي كانت من قبل تربط معا على شكل حزم، وفأس القتال كان يستخدم للقتال عن قرب بذلك بطل استعمال الهراوة ذات الرأس الحجري التي وصلت الينا أمثلة كثيرة منها في مقابر فجر التاريخ.

ولقد عثر على نموذج، في مقبرة أحد أمراء أسيوط ويدعى مكتى رع على سريتين من الجند إحداهما مسلحة بالخراب والتروس (خشب مغشى بالجلد)، والأخرى مسلحة بالقسي والسهام ويرجعان إلى عهد الاضطراب في الأسرتين التاسعة والعاشرة.

الزجاج - لم يبق لنا من الدولة القديمة شيء واحد من الزجاج، وقد حفظ انا قضيب صغير من الزجاج يحمل اسم أمنمحات الثالث، ويدل على أن صناعة الزجاج في الدولة الوسطى بلغت شأوا عاليا. ومنذ الدولة الحديث، نجد أوان كاملة من الزجاج. وعرف المصريون كيف يضيفون على الزجاج أي لون يريدونه.

أما فيما يتعلق بصناعة الزجاج فنضيف إلى أن الزجاج لم يكن يصنع بطريق النفخ أو الصب في القوالب وإنما كانت تصنع الأواني بحيث تلف خيوط الزجاج من مختلفة الألوان حول قالب حروق في النار من الرمل المحتوى على الصلصال حتى تغطيه تماما. وبتكرار تسخين الإناء عرف المصري كيف يصل إلى اذابة خيوط الزجاج بحيث تمزح معا. وعلاوة على هذا كانت توضع على السطح الخارجي الأملس خيوط أخرى من الزجاج لتحليته.

الخزف - عرف المصريون صناعة القاشاني أو الخزف منذ عصر ما قبل الأسرات، وقد فكروا في تكسيه الفخار الذي كانوا يصنعونه بطبقة خزفية أو تكسيه الكوارتز بهذه الطريقة وكان يفضل تلوينه باللون الأزرق أو الأخضر والسبب في تفضيل هذين اللونين على غيرهما هو أن الحلى والأدوات الصغيرة الزرقاء والخضراء التي كانت تصنع من القاشاني ينبغي أن تبدو كما لو أنها من أنفس المواد التي عرفها المصري أي كما لو أنها من أحب الأحجار الثمينة وهما اللازورد والد هنج. ولم يكن القاشاني يشكل على العجلة الدائرة كالفخار، وإنما كان يعجن في أوان حجرية ثم تشكل العجينة بعد ذلك إما باليد وأما في القوالب. وكان يصنع من القاشاني التماثيل الجنائية الصغيرة وتماثيل الحيوانات كأفراس البحر والسلاحف والضفادع والتماسيح الصغيرة والأسماك

التمائم والصحاف والأواني من جميع الأشكال والأحجام والدمى وجليات الصدر والأساور والخرز) وكان يستعمل أيضا في تطعيم

المقاصير الخشبية التي كانت تحيط بالتابوت (كمقصورة توت عنخ آمون التي طعمت بالقاشاني الأزرق).

النسيج - برع المصريون في صناعة النسيج من أدق الخيوط، وقد بلغت خيوط النسيج من الكتان من الدقة حدا لا يستطيع الانسان معه أن يميزها عن خيوط الحريز. وكانت المنسوجات المصرية عامة تصنع من الكتان. وكانت ملابس الاشراف لفرط رقتها تشف عن أعضاء الجسم. وما حفظ لنا من الكتان الرقيق ليمكن مقارنته في طراوته بنعومة نسيج الحرير في الوقت الحاضر وكان النساء يقمن في معظم الأحيان بالغزل والنسيج في الدولة القديمة. وكانت معظم الأقمشة المنسوجة بيضاء تستعمل في الملابس وفي لفائف الموميات وتغطيتها وغير ذلك من الأغراض وكانت المنازل والانوال يدوية.

أدوات الزينة - توجد في متاحفنا مختلف أدوات الزينة التي عثر عليها في مقابر المصريين القدماء وأهمها أواني العطور والزيوت الثمينة وغالبا من المرمر) ومكاحل مع مراودها، ومرايا من المعدن مع العلب التي كانت تحفظ فيها ودبابيس الشعر والأمشاط و ملاعق مساحيق الزينة وغيرها، هذا علاوة على الحلى.

الحلى - عثر على عقود و أساور كان يستعملها منذ أقدم العصور الرجال والنساء على السواء، أما العقود فتتألف من حبات من الأحجار النصف كريمة كاللازورد والعقيق وغير ذلك، ومن القاشاني الأزرق والأخضر، أما الأساور فكانت من العظم أو العاج، وكانت تصنع أيضا من

النحاس، وإلى جانب هذا كان يتحلى الرجال والنساء على السواء منذ الدولة القديمة أيضا بقلائد عريضة تتألف من عدة صفوف من الخرز وتثبت في مكانها ثقل على شكل شرابة. أما التحلي بالأقراط فقد أتى إلى مصر من الخارج في بدء الدولة الحديثة وهناك. أقراط ذات دلايات.

أما الخواتم فيبد وإنها كانت تدخل في جميع العصور ضمن الحلى المصرية واستعملت منذ أقدم العصور.

وليس أدل على غرام المصريين القدماء بالحلي من ذلك العدد الوافر الذي عثر عليها منها في مقابرهم من اقدم العصور أي عصر ما قبل الأسرات فقد وجدت مجموعات مختلفة من أدوات الزينة والحلى العقود التي كانت تتخذ حياتها من الحجر الجيري والكوراتز والشيست أو الأحجار نصف الكريمة كالعقيق والاماتست) والأساور والأمشاط التي كانت تصنع من العاج والعظم والصدف. وفي الأسرة الأولى عثر في مقابر أبيدوس على أسوره من الذهب والامتست والفيروز وجدت على ذراع ملكة كانت مدفونة هناك وثبت منها أن فن الصياغة وصل إلى درجة عظيمة من الرقي حتى في هذا العصر القديم، كما عثر على مجموعات أخرى من العقود اتخذت حباتها أشكالا مستطيلة أو مستديرة أو مربعات، وكانت هناك حلى جميلة للصدر صنعت من صفائح الذهب، فهذا يدل على أن المصريين القدماء كانوا منذ أقدم عصورهم مولعين بالتجمل وأن يزينوا أنفسهم بكل ما هو حسن وجميل على حد تعبيرهم.

الأمشاط - كانت تصنع عادة من الخشب وذات حدين أو حد

واحد أحدهما أسنانه كبيرة والآخر أسنانه صغيرة وكان الجزء الذي بين الحدين ينقش عادة بنقش محفور أو مطعم.

المكاحل - كانت في المعتاد من الحجر أو الخشب أو العظم أو الحاج أو الفخار وبعضهما يحتوى على عينين أو أربع أو خمس عيون يوضع في كل عين منها مسحوق يختلف في لونه أو نوعه عن الآخر وبعض إلى الشكل لا يعدو أن يكون علبه صغيرة أو انبوبة بسيطة.

أنواع الكحل - أهم الأنواع نوعان

١–الكحل الاسود وتزجج به الحواجب وتطلى الأجفان.

٢–الكحل الأخضر ويصنع من الدهنج (اكسيد النحاس) وكان يلون به الجفن الأسفل (المحجر)

المراود - كانوا يكتحلون بها وهي أعواد صغيرة من الخشب أو العاج.

المرآة - وكانت أداة هامة من أدوات الزينة وكانت تصنع في العصور القديمة من المعدن الذي يكون عادة من النحاس أو البرونز أو الذهب أو الفضة ويصقل صقلا تاما بحيث يصبح شديد اللمعان والمرآة عادة شبه مستديرة ولها مقبض من الخشب أو العاج أو المعدن. أو الحجر وتتخذ يد المرآة أشكالاً مختلفة.

طريفة منها ما هو على شكل زهرة أو امرأة وغير ذلك، وكانت المرايا تحفظ في علب أنيقة تتخذ أشكالا مختلفة.

العطور - كانت الزيوت والعطور لها أهميتها في مصر القديمة إذ

إنها كانت رمزا على البهجة، وقلما تخلو حفلة من الأواني المرمرية المملوءة بالزيوت العطرية يغمسون فيها قطعا من القماش ويمسحون بها في رفق شعورهم وجلدهم ثم يدلكون بشرتهم وأجسامهم، على أن هناك أنواع من الطيوب كان يستجلبها أثرياء القوم من البلاد الأجنبية وبخاصة من الشواطئ الجنوبية للبحر الأحمر وتباع في مصر بأثمان مرتفعة. من هذا تستطيع أن تدرك حب المصريين للعطور.

بناء السفن - لقد تقدم المصريون في صناعة السفن تقدما يدل على مدى نشاط المصريين في العمل، وكانت الأخشاب المستعملة في بناء السفن هي خشب السنط والجمين وهما النوعان اللذان كانا موجودين بمصر، ويضاف اليهما خشب الأرز الذي كان يستورد من سوريا، وذلك لأن الألواح التي كانت تؤخذ من الأشجار المصرية كانت قصيره عادة. أما السارية فتصنع أحياناً من خشب الأرز وأحياناً أخرى من جذوع شجر الدوم.

وكانت جميع السفن تطلى بالألوان التي تحمي خشبها من الشمس والرطوبة وكانت تحلى بأنواع عديدة من الزينات.

وتنقسم السفن المصرية القديمة إلى:

١. السفن التي تستعمل في البحار وهي السفن الحربية الممثلة على جدران معبد مدينة هابو والسفن التجارية الممثلة على جدران معبد الدير البحري في الرحلة إلى بونت.

٢. السفن النيلية وتشمل السفن التي كان يستخدمها الملك والعظاء في التنقل من مكان إلى آخر وتبنى عادة في وسط السفن حجرة من الخشب ملونة من الخارج برسوم هندسية وكان لها بابان عادة.

وهناك سفن لحمل الأثقال ومنها الكبير والصغير، وتستخدم هذه السفن لنقل المسلات من المحاجر إلى المكان المعد لإقامتها فيه، وبعضها لنقل الغلال والمواشي، وسفن لنقل الأزهار والفواكه والأسماك وما اليها. وكان رؤساء الأملاك الخاصة يتجولون فيها منتقلين من مكان لآخر لجلب حاصلات الأراضي والاملاك وتحصيل الجزية وتقديمها للملاك أو للملك.

وكان يتبع لتقويس عروق وألواح المراكب تقويساً صحيحاً أنه إذا تم صنع جسم المركب بصفة عامة يثبت في وسط قاعها قائم خشبي ذو شوكتين في أعلاه وكان تشد إلى ما بين هاتين الشركتين حبل متين أوثق طرفاه في مقدم السفينة ومؤخرتها. وفي ثنايا هذا الحبل كان العمال يدخلون بعض العصى يفتلونه بها حتى تتقوس الواح المركب على النحو المطلوب.

ولقد كانت السفن الكبيرة منها ذات غور ضئيل نسبيا. وكانت مجاذيف السفن المصنوعة من الخشب ذات رؤوس ضيقة جداً ومدببة من أعلى. ولم يكن للسفن في الدولة القديمة دفة وانما كثيرا ما كانت تساس بمجاذيف كبيرة. وكانت السفن الكبيرة معدة لتجري بالشراع والمجاديف أيضا وكان الشراع من الكتان وكان طويلا غير عريض. وكانت السارية تتألف من ساقين ربطا معا عند طرفهما الأعلى. وكان يوجد حبل

قوي متين يتجه من ذروة السارية إلى مقدم السفينة ويتجه حبل إلى مؤخرتها وذلك لحفظ السارية في مكانها. وليس من شك في أن أفضل وأسرع سفن الدولة القديمة كانت السفن الشراعية الطويلة المسطحة التي كان يستخدمها الأشراف في رحلاتهم، اما السفن التي كانت تعد النقل الاثقال فكان يجرها الرجال.

الأثاث - أهم قطع الأثاث المنزلي هو السرير والمقاعد والصناديق الابنوسية المطعمة بالعاج بأحسن ما جادت به أيدي العمال المهرة. ولم تكن الموائد كثيرة الاستعمال.

أولاً: الأسرة: يعد السرير من أهم قطع الأثاث المنزلي. وكانت الأسرة في أقدم العصور أكثر انخفاضا من الأسرة التي أتت بعد ذلك. وكانت الأرجل في المعتاد تصنع على شكل أرجل الحيوان. وكانت تزين ألواح القدمين بأشكال جميلة تمثل آلهة كان من المعتقد إنها تحمى النائم وتحرسه. أما الجزء المستعمل للنوم فكان يتكون من شبكة من الألياف المجدولة والحبال وتشد إلى إطار من الخشب. أما مسند الرأس فكان يصنع إما من العاج أو من الخشب أو المرمر أو الأحجار وكانت مساند الرأس بمثابة الوسادة.

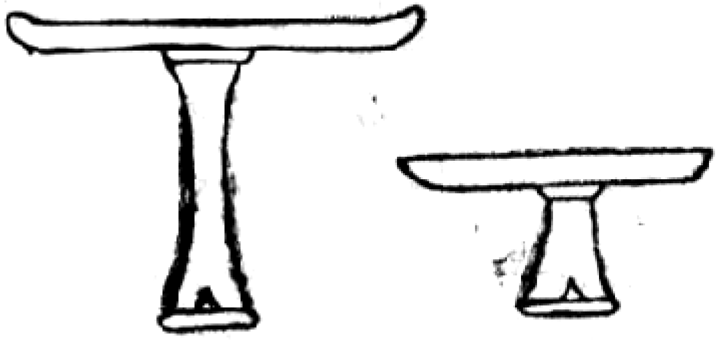
ثانياً: الكراسي: كان منها البسيط والفخم وكانت الأرجل على شكل قوائم الحيوان (الاسد أو الثور) وتصنع الأجزاء والاطارات والظهر من الخشب ثم يغطى بعضها بالذهب أو تنقش بأشكال مختلفة تطعم بالعاج والابنوس. وبعض هذه المقاعد كان طويلا بحيث يتسع لاثنين

يجلسان عليه فهو من قبيل ما يسمى (بالشيزلونج) وبعضها كان له مساند جانبية أي أذرع يشبه بها ما يسمى الآن (الفوتيل)، وبعضها بدون مساند الظهر وبعضها كان واطئا خفيفا يسهل حمله، ومنها ما كان ذا ثلاث أرجل يستعمله الصناع في جلوسهم أثناء العمل وغير ذلك. وكانت الكراسي تغطى في المعتاد بوسائد من الجلد أو القماش الموشى بالذهب والفضة رسمت على بعضها أشكال متعددة لأشخاص أو نباتات أو أشكال هندسية ملونة أو زهور، أو تغطي أمكنة الجلوس فيها بشبكة من

السيور أو الحبال المجدولة تشد إلى إطار المقعد. وكانت الكراسي تصنع من الخشب والأبنوس المطعم بالعاج.

الصناديق: كانت تستخدم عوضا عن الاصونة (الدواليب) فكانوا يستعملون الصناديق الخشبية لحفظ الملابس والحلى وأدوات الزينة كالعطور والأمشاط والمرايا. وكان لهذه الصناديق أرجل والصناديق في المعتاد مستطيلة الشكل ولا غطاء مقبب من طرفيه ومسحوب من الطرف الآخر وكان للصندوق في العادة مزلاجان أحدهما في الجزء المقرب من الغطاء والآخر على حافة الصندوق العليا ..

الموائد: أما مستديرة أو مربعة أو مستطيلة وكانت الأولى تستعمل عند تناول الطعام وتتكون من سطح مستدير يرتكز على عمود أو قائم في الوسط وكان يصنع للموائد الكبيرة ثلاث أرجل أو أربعة ومعظم الموائد كان يصنع من الخشب إلا أن بعضها كان يصنع من المعدن أو الحجر. (انظر شكل ٩).



(شكل ٩)

الفصل الرابع
التجارة والمواصلات

أولا - التجارة:

لم تلعب التجارة في مصر القديمة دورا يذكر ولا بد إنها كانت أشبه بما يجري من معاملات في أسواق مدن مصر في الوقت الحاضر.

ولقد كانت التجارة الداخلية بدائية نسبياً معظمها بطريق المقايضة في أسواق المدن والقرى أما التجارة الخارجية فقد نمت نموا بطيئا وعاقها ما كان يفرض عليها من قيود شديدة أشبه بالحواجز الجمركية المفروضة على التجارة الخارجية في هذه الأيام. على أن مصر أثرت مما كانت تستورده من المواد الخام وتصدره من المصنوعات. وكانت أسواق مصر غاصة بالتجار السوريين والكريتيين والقبرصيين كما كانت السفن الفينيقية تجري في النيل من مصر في الشمال إلى أرض طيبة الكثيرة الحركة في الجنوب.

الأسواق المحلية

تدل الصور في احدى المقابر في سقاره كيف كان يجري الأمر في احدى أسواق الدولة القديمة وهي تمثل سوقا ونرى بائع السمك جالسا أمام سلة من الحلفاء وينظف سمكة كبيرة يساوم زبونه على ثمنها وهي تحمل في صندوق ما تقايض به. وإلى جانب هذه المجموعة بائع آخر يعرض دهانا أو ما يشبه ذلك تعرض له فيه أمرأه إنائيين صغيرين وبائع

آخر يبيع كعكا حلوا في مقابل قلادة وزوج من النعال، أو خضرا نظير زوج من القلائد أو بصل مقابل مروحه أو مكنسة. ولا يقتصر الأمر على تداول المأكولات فقط بل الحلى وغير ذلك من الأدوات.

من هذا نجد أن المقايضة أساس التبادل بينهم.

أما الميزان فهو أداة هامة تطالعنا بها الدولة الحديثة و تخلو منه الصور المماثلة في الأزمنة السابقة و بهذا أصبح الميزان يستخدم للتأكد من وزن السلع وعلى ذلك لم تعد السلع تبادل جزافا وانما أصبح يدفع فيها الثمن المستحق. ومع هذا لا ينبغي أن يذهب بنا الظن إلى أن النقود كانت تستخدم إذ ذاك كوسيلة حقيقية في وضع الاثمان على نحو ما يعرف الآن على انه كانت هناك وحده قيمية تنسب اليها السلع كل على انفراد وهذه الوحدة هي قطع من النحاس تسمى دبن (تزن ٩١ جراما).

ورغم أن المقايضة كانت الطريقة الشائعة في التجارة إلا أن المصريين استعلموا حلقات من الذهب والنحاس ذات وزن ثابت ،فكانت تعتبر بمثابة أول عمله عرفها التاريخ كما أنهم استعملوا أوزاناً من الحجر وعرفوا كل مستلزمات التجارة من دفاتر الحساب واحتاجوا إلى الكتاب الذين عرفوا الكتابة والمحاسبة.

التجارة الداخلية

لقد اشتغل المصريون بالتجارة من أقدم العصور وكان النيل والترع هي من اهم طرق النقل الداخلية خاصة بالقوارب والسفن التي تنقل البضائع والسلع إلى الأسواق.

التجارة الخارجية:

وإذا كانت التجارة الداخلية لم تزدهر ازدهارا كبيرا على ما يظن فلقد كانت للتجارة مع الخارج عصورها الزاهرة.

كانت بلاد النوبة أسهل البلاد التي يمكن الوصول اليها من مصر على إنها القلة خصبها لم تبلغ مرحلة معينة من التقدم إلا في الأزمنة المتأخرة وتحت تأثير السيادة المصرية، وكانت الحدود السياسية بين مصر وبلاد النوبة تقع حسب الظروف الطبيعية عند الشلال الأول حيث كانت في جزيرة الفانتين السوق التي كان النوبيون يتبادلون فيها منتجات بلاده والسلع التي كانوا يحصلون عليها من القبائل الجنوبية مع المنتجات المصرية. وكان يرسل منها إلى مصر جانب من جلود الفهود والقردة وخشب الأبنوس والعاج بصفة خاصة.

ولقد تدخل ملوك الأسرة ١٢ (الثانية عشر) في بلاد النوبة وكان الهدف الأساسي الوصول إلى مناجم الذهب في صحراء بلاد بونت.

العلاقات مع بونت:

كان المصريون يعتبرون بلاد بونت كأنها عجيبة خيالية وهي البلاد إلى ظل ملوك مصر على علاقات تجارية معها منذ عدة قرون، فكان يجلب من هناك المر والبخور وأنياب الفيلة وكلاب الصيد والقردة والذهب (البخور والذهب في شكل حلقات وأنياب الفيلة). أما السلع المصرية التي يشتاق إليها قلب كل فرد من أهالي بونت فهي الخناجر وفؤوس القتال والقلائد البهيجة الألوان – ويحضر المصريون كذلك

القردة والفهود وأشجار البخور والأبنوس (يلاحظ أنه كانت ترسل سفن لإحضار هذه الأشياء ويذهب مع الرحلة رسول ملكي) وعندما تنتهي المبادلة على ما يرضي الطرفين يستقبل المصريون "عظماء هذه البلاد. وفي خيمة الرسول الملكي ويقدم لهم الخير والجعة والنبيذ واللحم والفاكهة وسائر أشياء مصر الطيبة وذلك حسب ما أمر به البلاط".

التجارة مع البلاد الشمالية المجاورة تمتد إلى أوائل التاريخ المصري ففي أقدم تقديمات القرابين في الدولة القديمة نجد إلى جانب "زيت ليبيا"، "زيت الأرز" ومنشؤه على ما هو واضح منطقة لبنان فقد وصلت إلينا من المعبد الجنازي للملك ساحورع صورة أسطول مصري عائد من المياه الإقليمية السورية أحضر معه. جرارا فخاريه طويلة مملوءة بالزيوت الثمينة وأهم من هذا رجالاً ونساءً أسيويين يدخلون مصر كرقيق (لاحظ الأسرى الكثيرين جدة الذين عادهم أوفر من الحملة الحربية في سوريا).

وكذلك خشب الأرز الذي كانت تصنع منه توابيت الاشراف وزيت الأرز وكان يستخدم في تحنيط الموميات والدببة التي كانت تدخل السرور على قلب الملك ورجال حاشيته بأشكالها وحركاتها الغريبة. وكان صناع الأسلحة المصريين في عهد الدولة الوسطى يرجلون بمنتجاتهم إلى البلاد الأجنبية. كما نجد على كثير من لوحات الدولة الوسطى فتيات أسيويات بمثابة إماء محنطات عند أسيادهن المصريين.

وعلى العموم لقد كان المصريون ملاحين مهرة سادوا وذهبوا بفنهم في البحرين الابيض والاحمر وكانت سفنهم تذهب إلى الشام محملة

بمحصولات الاسم ورق البردي والكتان وتعود منها محملة بخشب الأرز والنحاس، وتاجر المصريون كذلك مع رودس وقبرص وكريت.

وأرسل الفراعنة البعوث من وقت لآخر إلى (الصومال) لجلب أشجار المر والصموغ العطرية والبخور اللازم للمعابد ،وكانت هذه البحوث في عمه الدولة القديمة تخترق طريق القوافل فتجتاز الصحراء ابتداء من قفط مارة بوادي الحمامات الغني بالذهب والاحجار حتى تصل إلى القصير على البحر الأحمر فتأخذ السفن منها إلى بلاد بنت.

وكانت التجارة الخارجية من الاعمال التي تقوم بها الحكومة وحدها ولم يقم بها الشعب وليس هناك من شك في أنه كانت هناك حركة تجارية واسعة بين مصر وفينيقيا في عهد الدولة القديمة وأنه كانت هناك جاليات مصرية كذلك في تلك الجهات وأن الأمر كان يدعو في كثير من الأحيان إلى حماية التجارة وحماية الجاليات كذلك.

ثانياً: المواصلات

كان النيل وقنواته الطريق الطبيعي للمواصلات في مصر فكانت الاحمال تنقل بالسفن وكانت الرحلات تؤدى بواسطة السفن. وأقدم ما تعرفه عن السفن التي استخدمت في وادي النيل هي تلك الزوارق الصغيرة من سيقان البردي. وتتألف من جزم من عيدان البردي شد بعضها إلى بعض. والزوارق الصغيرة لم تكن تتسع لأكثر من شخصين. أما الزوارق الكبيرة فكان لا بد لها من عدة أطوال توصل معا بمهارة كبيرة.

وكانت قوارب البردي ذات الغور الضئيل في الماء تصلح في الماء

الضحل في المستنقعات واستخدمها الرعاة والصيادين وصيادي السمك وكان يمكن توجيهها بسهولة لخفتها. وليس لهذه القوارب اشرعة كما لم تكن تجرى بالتجديف على النحو المعروف وإنما كانت تدفع بالمرادي ذات الشوكتين من أسفل ليحسن غرزها بها في الأرض. واما باستخدام مجاديف قصيرة عريضة الرأس كان يضرب بها سطح الماء بخفة.

أما السفن الكبيرة فتصنع من الخشب ،وذلك بالرغم من سوء الأخشاب في مصر والمراكب التي كانت تستخدم لنقل الأحجار في الدولة القديمة تبلغ طولها ٦٠ ذراع وعرضها ٣٠ ذراع ومن خشب السنط.

وكانت سائر السفن الكبيرة تقريبا معدة على ما يبدو لتجري بالشراع والمجاديف أيضا ولم تكن السفن تزود بأكثر من شراع واحد من الكتان وكان طويلا غير عريض. وكانت السارية تتألف من ساقين ربطا معا عند طرفها الأعلى. وليس من شك في أن أفضل وأسرع سفن الدولة القديمة كانت السفن الشراعية الطويلة المسطحة التي كان يستخدمها الأشراف في رحلاتهم وكانت من خشب الأرز. اما سفن النقل الكبيرة فكانت المساحة الحالية بها محدودة بل يستفاد من كل بقعه عليها للشحن.

أما وسائل المواصلات البرية فكانت في المسافات القصيرة، غالبا فيما بين النيل والمكان المقصود فكان الأشراف من الرجال والنساء في الدولة القديمة يستخدمون نوعاً من المحفات عبارة عن مقعد من فوقه في بعض الأحيان (مظلة) يحمله من قضباته الطويلة ستة أو أكثر من

الخدم على أكتافهم وإلى الجانب يسير رجل أو رجال يحملون مراوح طويلة يروحون بها على الشريف.

أما أفراد الشعب فقد استخدموا الحمار كما هو الأمر في الوقت الحاضر كأحسن وسائل النقل ومع ذلك فقد كان من الصعب استخدامه للركوب بمهارة تامة.

وقد يسافر الشريف براً فيجلس على ما يشبه المقعد وقد أحكم ربطه على ظهري حمارين وان كان قد بطل استعمال هذا المقعد في الدولة الحديثة كما بطل استعمال المحفة إذ عرف المصريون المركبة التي تجرها الخيل.

والمركبة كانت تستعمل للسفر وللصيد في الصحراء أو في القتال وكانت عبارة عن عربة صغيرة خفيفة للغاية لا تتسع لأكثر من ثلاثة أشخاص واقفين وكانت من عجلتين فقط يصنعان بعناية من مختلف الاخشاب. وكان قطبها (الدنجل) يحمل صندوق المركبة الذي كان قليل الارتفاع.

الفصل الخامس

فن الرسم والتصوير والنقش والنحت

أولاً: فن النحت.

تكاد تماثيل مصر القديمة تضارع في أهميتها عمائر المصريين ، فالتماثيل المصرية أقدر من غيرها على الكشف عن عقائد المصريين وأفكارهم ومشاعرهم وأحاسيسهم

ولقد بلغ فن النحت في الدولة القديمة وخاصة في الأسرة الرابعة درجة كبيرة من الاتقان والروعة.

ومن أشهر التماثيل التي حفظت لنا تمثال من الديوريت لذلك خفرع في متحف القاهرة يمثل الملك خفرع جالسا (بلحية قصيرة وقلنسوة على رأسه) وخلف رأسه يقف الصقر على مسند الكرسي يحمي بجناحيه رأس الملك ويظله بحمايته ويتجلى في ملامح الوجه علائم القوة والجد والذكاء. ويلاحظ أن تمثيل الصقر خلف رأس الملك يظله بحمايته قد رفع التمثال من عالم الانسان إلى عالم الإله (انظر شكل١٠)، وهو بهذه صورة صادقة لما كان يعتقده المصريون في ذلك الوقت من قداسة وألوهية الملك (وهناك تماثيل المجموعات تمثل الملك مع بعض الآلهة.).



(شكل ١٠ تمثال الملك خفرع)

ومن التماثيل التي بلغت الذروة في الروعة، تمثال رع حتب وزوجته نفرت وعثر عليها في مقبرتها في ميدوم، ويعتبران بحق من أجمل ما خلفه فن النحت في الدولة القديمة، وهما يمثلانهما في حجم طبيعي تقريباً جالسين على مقعد ذي مسند خلفي مرتفع وقد بقي على كل تمثال اللون محفوظا تماما وقد لون تمثال الرجل بلون بني قاتم أما تمثال المرأة فقد لون جسدها بلون أخضر ولون رداؤها بلون أبيض، وعلى جيدها عقد عريض من ألوان مختلفة، وعلى شعرها الأسود عصابة بأشبه بأكاليل من أفخر الألوان ومن التماثيل الجليلة أيضا تمثال الكاتب المحفوظ في متحف اللوفر (ويرجع إلى الاسرة الخامسة) وهو من الحجر الجيري الأبيض ويمثل صاحبه جالسا متربعا على الارض وبين يديه ورقة من البردي ممثلة يكتب فيها

وتتمثل في عينيه وملامح وجهه اليقظة التامة والذكاء الخارق.

إلى جانب هذا، تدل القرائن على أن الخشب استخدم بكثرة في صناعة تماثيل الأفراد غير أنه لتعرض الخشب لعوامل الفناء بمرور الزمن، ضاع الكثير من التماثيل المصنوعة منه. ومن أهم التماثيل من الخشب التي حفظت لنا من عهد الاسرة الخامسة تمثال شيخ البلد، وهو يعتبر من أجمل ما خلفة لنا فن النحت في الدولة القديمة وهو يمثل شخص ممتلئ صحة وقوة بدينا بعض الشيء تمتد ذراعه اليسرى إلى الأمام وتقبض يده اليسرى على العصا الطويلة، أما ذراعه اليمنى تتدلى إلى جانبه، وكانت يده اليمنى تقبض على صولجان في وضع أفقي وهذا التمثال طبيعي إلى درجة كبيرة.

وكانت التماثيل من الخشب تصنع من عدة قطع مستقلة يركب بعضها مع بعض ما ساعد على حرية تشكيلها، فكان كل من الذراعين يستقل عن الجسد، كما كان الساقين مفصولتان أحداها عن الأخرى، إلى جانب التماثيل الفردية التي تمثل فردا واحدة شاعت كذلك مجموعات التماثيل التي تمثل كل منها الرجل والزوجة (أنظر شكل ١١)، أو الزوجين وبعض الأولاد، أو الأب أو الأم وبعض الأولاد، ومنذ أواخر الأسرة الرابعة ظهر كذلك ما يعرف بتماثيل الخدم وهي تماثيل صغيرة تمثل رجالا ونساء يقومون بأعمال مختلفة تهيئة الطعام والشراب وعزق الأرض وغير ذلك من الأعمال.



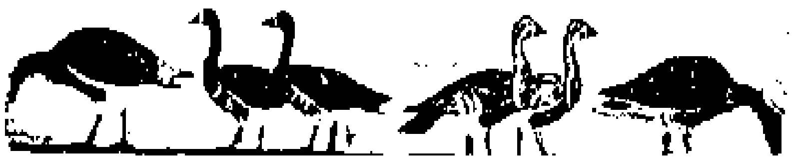
(شكل ١١ تمثال الملك منكاورع وزوجته)

فن الرسم والتصوير والنقش في الدولة القديمة

لقد امتاز عصر الدولة القديمة بجمال رسومه ونقوشه، والنقوش أما نقوشا في المعابد او نقوشا في المقابر. أما نقوش المعابد فاهمها النقوش البارزة التي وجدت في معبد الشمس الذي بناه وفي اوسر رع، (الأسرة الخامسة) في أبو غراب ومنها ما يمثل مهرجاناً دينياً.

أما معابد الأسرة الرابعة فلم يوجد بها أي أثر للرسم أو النقش. أما المعابد الجنازيه الملوك الأسرة الخامسة فقد كانت جدرانها محلاة أيضا بمناظر مختلفة مما يتعلق مباشرة بالعقائد الدينية الجنازية (مثل اتصال الملك بالآلهة ومواكب الآلهة تقدم للملك التقدمات) ومنها ما يتصل بأعمال الملك السياسية خارج مصر من حروب وبعثات تجارية ومنها ما يمثل كثيرا من مناظر الحياة اليومية كالصيد والقنص والحرث ولقد نقشت الصور بدقة بالغة وأجيد تلوينها وأبدع الفنانين في تصوير الحيوان والنبات فجاءت صور طبيعية جميلة.

أما نقوش المقابر من هذا العصر فكثيرة متعددة، ففي اللوحات الخشبية التي عثر عليها في مصطبة حس رع في سقارة نلاحظ قدرة الفنان على تمثيل عظام الجسم حتى ليكاد الناظر أن يتوهم أنه يرى عظام الجسم من وراء الجلد. ولقد كانت المناظر الطبيعية تصور أيضا في هذا العصر، مثال ذلك منظر أوز ميدوم ويمثل ست أوزات تبحث عن غذائها بين الأعشاب، فهذه الصورة تطابق الطبيعة تمام المطابقة كما أن الألوان مطابقة للطبيعة أيضاً.



(شكل ١٢) أوز ميدوم

وفي مقابر الأشراف في الأسرتين الخامسة والسادسة فرى مناظر تمثل الحياة اليومية كحرث الأرض وبذرها، والحصاد، والصيد، واعداد الطعام، وصناعة القوارب والحلى والاثاث وغير ذلك.

ولقد بلغ فن النقش ذروته في مصطبة (بتاح حتب) بسقارة فنجد في مصطبة تي منظرا للسوق ومنظر الاسود في الأقفاص ومصارعة الصبية في مصطبة بتاح وتتجلى في هذه المناظر قدرة الفنان المدهشة على تمثيل حركة الجسم.

خصائص فن النحت والنقش

كانت التماثيل والصور المنقوشة على الجدران للملوك والممتازين من الأفراد تمثلهم في أحسن سنى أعمارهم وأتم قواهم.

راعي المثال المصور آن تدل التماثيل والصور على جمال الخلقة والتكوين وقلما يصادف وجها قبيح المنظر بل تدل الوجوه على جمال الملامح.

اختار الفنان الأوضاع التي تتفق ومكانة الأشخاص الذين مثلهم فئل الرجل واقفا أو جالسا تنم هيئته عن هيبة واحترام ومثل إمارات الشرف. ويلاحظ على التماثيل المصرية تشابهها وجمودها ما يعاب عليها ولكن يلاحظ أن الفنان كان مقيدا بالتقاليد الموروثة ومقيدا بما رسمته العقائد الدينية والأفكار السائدة ..

يلاحظ في صور الانسان المصورة والمنقوشة أن الوجه وباقي الجسم من الجانب، والصدر من امام في صور الأشخاص الرئيسية وذلك رغبة منه في ابراز الذراعين واليدين وإيضاح حركاتها وما تقوم به من اعمال وإمكان تمثيل العصا وما إلى ذلك من أمارات الشرف.

عدم تقيد فن النقش والتصوير بقواعد الرسم المنظورة وذلك لأن الفنان تنحي عن قواعد الرسم المنظورة عن قصد وإرادة تبعاً لأهدافه التي كان يتوخاها وقد كان في استطاعته رسم الأشكال حسب قواعد المنظور وإنما أراد أن يمثل الأشياء حسب حقيقتها لما يعتقده من فائدة ذلك في العالم الثاني.

يلاحظ أن الساق اليسرى في تماثيل الرجال الواقفة تتقدم خطوة إلى الأمام في حين أن كلتا الساقين في تماثيل النساء والأطفال الواقفة مضمومتين.

استخدام الكتل الحجرية من الجرانيت

استخدمت الكتل الحجرية من الجرانيت في عدة أغراض، فقد كانت حجرة الدفن في الهرم الأكبر من الجرانيت إذ إنها كسيت من الداخل بلوحات حجرية جرانيتية، أما السقف فقد كسي من الداخل بتسعة ألواح جرانيتية كبيرة ..

أما هرم "خع اف رع" فقد كانت المداميك السفلي منه مكسوة بالجرانيت ويلاحظ أن معبد الوادي الملك "خع اف رع" قد بني من الحجر الجيري الأبيض، وهي عبارة عن كتل حجرية ضخمة كسيت كلها من الداخل والخارج بكتل من الجرانيت الأحمر. وكذلك استعمال حجر الجرانيت في بعض أجزاء المعبد الجنازي الخاص بالملك "خع اف رع".

أما هرم "من كاورع" فقد كسي بالجرانيت الأحمر إلى مسافة ١٦ مدماك.

كما استخدم الجرانيت في المسلات، فكانت المسلة عبارة عن كتلة واحدة من الجرانيت.

ومما يجب معرفته أن هذا الحجر يوجد في أسوان، وله محاجر أيضاً في وادي الحمامات بين قفط والبحر الأحمر.

الاعمدة:

ينقسم العمود المصري إلى عمود غير نباتي، وعمود نباتي، فالعمود الغير نباتي يشمل أنواع كثيرة، منها العمود المتعدد الأضلاع، والعمود الأسطواني وغير ذلك.

أما العمود النباتي فهو تقليد للنباتات المختلفة وأهم الأعمدة التي على شكل نباتات عمود النخيل ويتكون من ساق على شكل اسطوانة ملساء يعلوها تابع مقلد من أوراق أوراق نخيل مربوطة في جزئها الأسفل، ومن أمثلته الأعمدة الجرانيتية بمعبد "ساحورع" الجنازي في أبو صير (الأسرة الخامسة) وهناك أعمدة نباتية لها تيجان على شكل زهرة اللوتس، كما توجد أعمدة تيجانها على شكل نبات البردي، والتاج قد يمثل النبات وهو مقفل أو متفتح، وهناك أعمدة على شكل حزمة من نبات البردي كما في أعمدة معبد الأقصر.

انتقال هذه الفنون لأوروبا وغرب آسيا

كانت مصر مهد الحضارة في العالم، اذ كان التفوق المصريين القدماء في التعدين والصناعة والهندسة والتقويم، ونهوضهم بالآداب والعلوم والطب، وتقدمهم في النواحي الاجتماعية والنظم الحكومة والإدارة والتعليم، كان لكل ذلك أثره الكبير في رق وتقدم البلاد الأخرى. فقد انتقلت الحضارة المصرية إلى دول غرب آسيا وأوروبا. انتقلت تلك الحضارة على أيدي الفينيقيين والسوريين واليهود وأهل كريت واليونان، وان الفنون في تلك البلاد التدين بالشيء الكثير للحضارة والثقافة المصرية.

الباب الرابع

الفصل الاول

حضارة مصر في العصر الاقطاعي

تمهيد:

بعد سقوط الدولة القديمة، تفككت وحدة البلاد وتلاشت القوة المركزية وحاول كل حاكم إقليم أن يحتفظ بإقليمه الذي يعده مملكته الخاصة وحل بمصر عصر مظلم يعرف بعصر الاضمحلال الأول وفيه كانت السلطة الفعلية في أيدي عدد من الأمراء المحليين، وبعضهم اتخذ لنفسه الالقاب الملكية ولقد حدث نزاع بين هؤلاء الأمراء كل منهم يريد أن يعلن نفسه ملكا. وهذا العصر يشمل الأسرات من السابعة حتى العاشرة. أما الأسرتان السابعة والثامنة فكان ملوكها ضعاف وليس لهم أي نفوذ على البلاد.

واستطاع حكام هرقليوبوليس (أهناسيا المدينة بالقرب من بني سويف) أن يمدوا نفوذهم ويسيطروا على المقاطعات المجاورة لهم ثم أسسوا الأسرتين التاسعة والعاشرة وتمكنوا من السيطرة على مقاطعات مصر المختلفة في الدلتا ومصر الوسطى ولكنهم لم يستطيعوا أن يضموا مقاطعة طيبة وما يجاورها من مقاطعات. وبدأ أمراء أرمنت وطيبة بمناوأة ملوك أهناسيا وأصبحت المناوأة حربا بين القوتين، وكانت الغلبة آخر الأمر لحكام

أرمنت ونصب منتوحتب الثاني نفسه ملكا على عرش مصر المتحدة.

أما عن الحالة الاجتماعية في ذلك العصر فيبرد صداها في نصائح "ايب ور" إذ يقول "لقد خربت البلاد وخيم عليها الحزن مقروناً بالعويل والبكاء، وأصبح الناس كقطيع مذعور من غير راع، ومن كان يرتدي الملابس الجميلة من قبل أصبح يغدو في أسمال بالية .. الخ.

حضارة مصر في عصر الدولة الوسطى

ازدياد نفوذ الأمراء – بعد انهيار السلطة المركزية وانتشار الفوضى في البلاد أخذ حكام المقاطعات يعتمدون على أنفسهم في العناية بمقاطعاتهم وحمايتها من الاعتداء والعناية بإصلاح وسائل الري. وعملوا على تجنيد فرق محلية من أبناء المقاطعات، ومن الجند المرتزقة للدفاع عن مقاطعاتهم، وبذلك أصبحوا مستقلين استقلالاً تاماً في تصريف شئون مقاطعاتهم، ولم يحاول ملوك الفترة من الاسرة السابعة إلى العاشرة الحد من سلطان هؤلاء الحكام، وذلك لحاجتهم إلى مساعدتهم وتأييدهم. ولم يتمكن ملوك الفترة بين السادسة والاسرة الثانية عشرة من أن يبسطوا نفوذاً كاملاً شاملاً على أمراء الاقطاعات. ويستمر نفوذ الأمراء حتى عهد سنوسرت الثالث، إذ يكاد نفوذه يشبه نفوذ الفراعين في الدولة القديمة. وساطة الحكام المحليين واضحة في النصف الأول من الاسرة الثانية عشر، وذلك لان الملوك كانوا مضطرين في النصف الأول من الأسرة الثانية عشر إلى الاستعانة بهم ليقووا مركزهم الشخصي، ولقد استطاع أمنمحات الأول أن يقيم حكما قويا ويبدو أنه وجد في حكام المقاطعات

التي ضعف شإنها في الأسرة الحادية عشرة أكبر عون له في تولية العرش وتدعيم ملكه وهكذا استعاد حكام المقاطعات نفوذهم والقابهم ابتداء من الأسرة الثانية عشرة حتى جاء سنوسرت الثالث فقضى على نفوذهم وعمل على كسر شوكتهم.

المقابر: استمرت الأهرامات كمقابر ملكية حتى عصر الدولة الوسطى وكان بعضها من الحجر والبعض من اللبن فقد أقام أمنمحات الثالث وسنوسرت الثاني وهما من ملوك الأسرة الثانية عشرة أهرامات من اللبن موجودة بالقرب من الفيوم. كما أقام أمنمحات الثالث هرماً صغيراً من الحجر بدهشور. وأهرامات هذه الأسرة تمتاز بكثرة تعاريجها الداخلية وحجرها وإخفاء معالم مدافنها لتضليل اللصوص كما أن المدخل ليس له اتجاه معين.

أما مقابر الأشراف في الدولة الوسطى، فكانت محفورة في الصخر ويختلف عدد حجرات المقبرة باختلاف مقدرة صاحبها أو نجد ممراً منحدراً يوصل بين مدخل المقبرة في أعلا الجبل و بين أسفل الوادي، وبناء المقبرة نفسه يتكون من فناء خارجي واسع مربع يتقدم المدخل المحفور في الصخور في هذا المدخل يوصل إلى حجرة يتوسطها عدة أعمدة كلها منقورة في الصخور تختلف أشكال هذه الاعمدة، فهي إما مستديرة تنتهي بقمة على شكل زهرة اللوتس أو على شكل سعف النخيل أو تكون الأعمدة مضلعة وكثيرا ما كانوا يضعون على داخل المقبرة كل مظاهر العظمة فيكثروا من الألوان الزاهية واشتركت المقابر كلها في أن

أقصى جزء منها محفور في داخل الصخر يعد على شكل مشكاة الوضع تماثيل الميت أو أن يحفر مر طويل في الصخر يوصل إلى المشكاة حيث التمثال كما في مقابر أسوان وبني حسن (أنظر الشكل ١٣).

أوراق البردي: كان ورق البردي أهم مواد الكتابة التي كانت مستعملة من أقدم العصور إلى ما بعد الفتح العرف وهو نوع من الورق كان يصنع من لب السيقان الطويلة لنبات البردي. وكان يستعمل ورق البردي في الكتب والخطابات والحسابات وغيرها من الأغراض.



المقامر الصخرية في بني حسن

ويوجد ورق البردي مدفو نامع الموميات ولا شك في أن عمل ورق البردي وصناعته كان نوعا من الأعمال التجارية وأن هذه التجارة كانت مرحة. ولما كان البردي ذا قيمة تجارية استعملت المواد عديمة القيمة كي تكتب عليها الوثائق التي لا حاجة لحفظها كالخطابات الخاصة والحسابات وتمارين الخطط والرسم، وكانت المادة الشائعة الاستعمال هي قطع الحرارة المكسورة، لأنها في متناول اليد في كل وقت.

قصص المغامرات في آسيا: أهم القصص قصة سنوهى المشهورة والتي كتبت في عصر الأسرة الثانية عشرة والتي تعد مثالا رائعة من الأدب المصري القديم وفيها يقص لنا سنوهى – وهو أحد أفراد الحاشية الملكية – هروبه من مصر وقد تملكه الرعب لسبب سياسي غامض عقب وفاة أمنمحات الأول وجولاته المحفوفة بالمخاطر في فلسطين وسوريا ويذكر سنوهي في قصته بأنه تزوج من ابنة أمير رتنو العليا (في بلاد الشام) وأعطاه الأمير قطعة من الأرض وقطعانا من الماشية. وتحدث سنوهى عن المعاملة الحسنة التي كان يلقاها هناك، ويتحدث كذلك عن أنواع الأطعمة التي كانت تقدم إليه. ويتحدث ستوهي بعد ذلك ويبين كيف أنه نازل بطلا مغوارا وصرعه، تم يتحدث عن المراسلات التي دارت بينه وبين ملك مصر عند ما كتب إلى ملك مصر يستأذنه في العودة إلى بلاده فسمح له الملك بالعودة إلى وطنه ليعيش باقي أيام حياته في الوطن. ويتحدث ستوهى بعد ذلك عن عودته إلى مصر واستقبال الأسرة الملكية له استقبالا حماسيا، وأزيلت لحيته وألبس رداء من الكتان الرفيع أي أنه تحول من بدوي إلى مصري. ويذكر سنوهى أنه عاش بقية أيام حياته كعضو محترم كبير من أعضاء الحاشية الملكية.

المغامرات البحرية: قصة البحار الغريق وهي من القصص الخيالية وتتلخص هذه القصة في أن بحاراً ركب سفينة كبيرة فيها مائة وعشرون ملاحة من أمهر الملاحين في مصر، والتي قلوبهم أقوى من قلوب الأسود. وعندما قاربوا من الوصول إلى البر، هبت عاصفة شديدة وارتفعت الأمواج إلى ثمانية أذرع، فغرقت السفينة ومات كل من فيها ما

عدا هذا البحار، إذ قبض على قطعة من الخشب وألقته الأمواج على جزيرة قضى فيها ثلاثة أيام وحيدا لا زميل له سوى قلبه، وبحث عن طعام في الجزيرة فوجد فيها ما يقتات به، إذ وجد تيناً وعنباً وطيوراً وغير ذلك فأكل حتى شبع وأشعل ناراً وأحرق قرباناً للآلهة. ثم سمع صوتا كالرعد وتحطمت الأشجار وزلزلت الأرض، فليح حية تقترب وكان طولها ثلاثين ذراعا، وسألته عمن أنى به إلى هذا المكان؟ فقص عليها قصته، فهدأت من روعه وأمنته على حياته وذكرت له بأنه سيبقى أربعة شهور في تلك الجزيرة، وستأتي سفينة من العاصمة وفيها ملاحون يعرفونه وسيعود معهم. ثم أتت سفينة كما تنبأت بذلك الحية ورأى البحار من فيها، ثم أعطته الحية كثيرة من الهدايا ليأخذها معه وعادت السفينة به إلى العاصمة. ثم دخل إلى الملك وقدم له العطايا التي أحضرها من هذه الجزيرة، فشكره الملك أمام موظفي البلاط.

الحكماء والسحرة: ومن الحكم التي وصلت إلينا تعاليم الملك امنمحات الاول لابنه إذ يقول: "انصت إلى ما أقوله لك لتكون ملكا على الأرض وتسود على البلاد وتعمل ما هو أكثر من الخير. لاتهم بأخ ولا تصاحب صديقة ولا تثق بأحد، إن نمت فاسهر على قلبك بنفسك إذ ليس للرجل إخوان في وقت البلية. لقد أعطيت الفقراء وأطعمت اليتامى ولكن أولئك الذين أكلوا خبزي ثاروا على والذين تعطروا بعطري غدروا بي".

ومن القصص التي تدل على البلاغة والحكمة قصة الفلاح الفصيح وتتلخص في أن أحد الفلاحين خرج من قريته بعد أن حمل حميره بشتى

السلع ليبيعها في المدينة غير أن أحد موظفي الضيعة استولى على حميره بما عليها من سلع لأسباب واهية فاتجه الفلاح شاكيا إلى سيد هذا السارق وتمكن من أن يثير اعجابه بلاغته وفصاحته في شكواه حتى أنه أبلغ أمر هذا الحادث إلى الملك. ومن أمثلة بلاغته قوله: –

أنظر إنك لرئيس وبيدك الميزان – فإذا احتل هذا الميزان فإنك تختل أيضا لسانك هو ذلك اللسان الصغير لنميزان وقلبك هو تلك الصنجة وشفتاك هما الميزان.

أما عن السحر والسحرة: فهناك بردية محفوظة في برلين جاء فيها هذه القصة ادعا الملك خوفو أولاده ذات مرة بأن تحدثوه عما قام به عظاء السحرة من عجائب في بلال أجداده، فحدثوه عن ساحر استطاع بواسطة السحر ان يجلب من قاع البحر جوهرة امرأة كانت قد سقطت منها في الماء. ثم جاء الأمير ددف حور فحدث أباه عن ساحر كان على قيد الحياة في عهده ويسمى ددى ويبلغ من العمر ١١٠ سنة ويأكل يوميا ٥٠٠ رغيف إلى جانب فخذ عجل ويشرب ١٠٠ قدر من الجعة وفي استطاعته أن يرجع الحياة إلى جسد قطع رأسه بأن يضم الرأس للجسد. وفي استطاعته أيضا أن يجعل أسدة يتبعه دون أن يقوده حبل عدا هذا فانه يعرف أشياء يبحث الملك عنها. فطلب خوفو استدعاء هذا الساحر فلما حضر عرض بعض العابه السحرية أمام الملك اذ أحضروا له أوزة فصل عنها رأسها ووضع جسدها في جانب ورأسها في جانب آخر وتلى ددى تعويذة سحرية فوقفت الأوزة وتحركت. وهكذا أتى ددى بكثير من المدهشات مما جعل الملك يثق في حكمته.

قصة أوزيرس

كان الاله أوزيرس محبوبا من الناس فهو إله الخير وإله الحضارة أما أخوه ست فكان إله الشر ولقد حقد ست على أوزيرس وطمع في منصبه لأنه كره أن يكون لأوزيرس الملك، فلذلك دبر لأخيه أوزيرس مكيدة أذ دعاه لزيارته، وكان ست قد صاغ لأخيه تابوتا من الذهب جميل الشكل فلا وصل أوزيرس عند أخيه جلس الناس يتسامرون وبعد أن فرغوا من الأكل والشراب أمر ست بإحضار التابوت فاظهر الجميع اعجابهم بالتابوت وقال ست أنه يقدمه هدية لكل من يمكنه أن يملأه، فأخذ الناس يتسابقون ويجربون انفسهم حتى أتى الدور على أوزيرس فقام إليه وملاءه تماما فأسرع ست بقفله بإحكام وألقاه في النيل، وحملته الأمواج إلى البحر المتوسط، ثم بعد ذلك إلى بلاد سوريا حيث قذفت به الأمواج إلى شاطئ جربيل. فنبتت في هذا المكان شجرة عظيمة قامت من فوق التابوت و احتوته في داخلها، وعند مرور حاكم المدينة رأي هذه الشجرة العظيمة فأمر بنقلها إلى قصره أما إيزيس زوجة أوزيرس فأخذت تبحث عن التابوت حتى علمت مكانه، وأمكنها أن تستعيد التابوت ترجع به إلى مصر فلا علم ست بذلك واكتشف مكان التابوت الذي فيه جثه أوزيرس أخذ الجثة وقطعها إلى أربعة عشر قطعة وألقى بها في جميع أنحاء البلاد واستطاعت ايزيس أن تجمع هذه الأجراء وأن تعيد الحياة إلى أوزيرس وذلك عن طريق السحر وبعد ذلك فضل أوزيريس ان يكون رئيسا للمحكمة التي تحاسب الموتى على أعمالهم.

أما أهمية القصة فهي تبين النزاع بين قوة الخير وقوة الشر.

الأغاني والاناشيد

حفظت لنا بعض الاغاني والأناشيد التي كان ينشدها المصري القديم وتنقسم الأغاني والأناشيد إلى أغاني شعبية وأغاني الشراب وأغاني الحب وأناشيد للإله وها هي بعض الأغاني والأناشيد المدونة بجانب الصور المنقوشة على ج دران المقابر. فمنها مثلا ينادي أحد الفلاحين على الحرث صبيا يسير بجانب الثيران ويعلو منظر الحرث بأكمله هذه الأغنية:

"إنه ليوم جميل – الجسم رطب – والثيران تجر – والسماء تفعل حسب رغباتاتنا – ونحن نعمل الامير. وهناك أغاني الشراب ومثال ذلك هذه الاغنية حيث الرجال والسيدات من الطبقة الراقية يحتسون النبيذ وقد قدمت خادمة النبيذ إلى سيدة وقالت:

"في صحتك، اشربي حتى تشملي، واحتفلي بهذا اليوم الجميل، اسمعي إلى ما تقول جارتك، ولا تضيق ذرعا بالسرور"

ومما يدل على تعلق المصريين بمباهج الحياة اغانيهم في الحب والتي حفظ منها عدد وافر فهناك مجموعة من الأغاني السارة فتاة تنطلق وتتطلع في الحفل لرؤية اخيها المحبوب إذ لا تجد لذة في شيء حتى أن الذي كانت تشعر بحلاوته في فمها إصبع مر المذاق فتقول:

"أقول لك: أنظر إلى ما يحدث: لقد حضرت ونصبت الفخ

وأمسكت الفخ بيدي كل طيور (بنا) التي تخفق بجناحيها فوق مصر معطرة بالمر، ومن يصل منها أو لا يأخذ الدرة منى. قلي يهفو إليك لنفتح الفخ سويا أنا وأنت معا ما أجمل أن تكون معي هناك عندما أنصب الفخ ...... الخ

وهناك الأناشيد الدينية وكانت تنشد في المناسبات الشعبية كمواكب الجنازات أو مباركة الحقول عند بدء الفيضان. أغاني تشبه الأغاني الشعبية الأخرى. وهناك اغنية كان يترنم بها الفلاحون عند ظهور تباشير الفيضان:

(اقبل تحوت بالماء إلى الحقول، لتشرب الماشية وترتوي الأشجار. وحتى تغذي الأرض كلها.)

وهناك الأناشيد للإله وتختص بمدح الإله وتفيض بالإشارات الكثيرة من الأساطير المختلفة فشلا أنشودة أوزيرس عن عصر الدولة الوسطى: –

"الصلاة لك يا أوزيرس يا ابن توت، رب القرون، يا من أعطى التاج والسعادة أمام الإله، يا من خلق من العدم، يا على الشأن في بوزريس، يا عظيما حبه في كل بلد .. الخ"

ويلاحظ أن الأغاني الشعبية تختلف في طابعها عن الأناشيد للإله. إذ أن الأغنية الشعبية تصدر من روح الشعب مباشرة أما ما كان ينشد في المعبد فقد كان يخضع لتقاليد مقدمة منذ مئات وآلاف السنين.

الحساب - عرف المصريون الأرقام الحسابية ومسائل الحساب ،ولم نعثر في التمرينات الحسابية المكتوبة في إحدى البرديات على اخطاء كبيرة ولو أنه من الملاحظ عدم اهتمام المصريين بتدوين الكسور الصغيرة. ولقد عرفوا الجمع والطرح والضرب والقسمة. أما أبسط المقاييس الطولية فكانت القدم والزراع.

أمثلة لعمليات الضرب والقسمة - إذا أرادوا مثلا نتيجة ضرب ٨ × ٨ كانت هذه المسألة تحل كما يلى:ـ

١	٨	وإذا أريد ضرب ٥ × ٦ مثلاً		وإذا أريد قسمة ٣٥ ÷ ٥	
٢	١٦	١-	٦	١-	٥
٤	٣٢	٢-	١٢	٢-	١٠
٨	٦٤	٤-	٢٤	٤-	٢٠
		الناتج = ٣٠		الناتج هو ٧	

الهندسة- عرف المصريون مساحة المربع والمستطيل والمثلث وعرفوا مساحة الدائرة بالتقريب وقدروا حجم متوازي المستطيلات تقديرا صحيحا.

أما حساب الأحجام فقد دلت المعلومات التي وصلت الينا ان المصريين قد تمكنوا من حسابها بشكل صحيح، وكانوا مثلا يحسبون كمية الحبوب التي يمكن أن تسعها شونه من حجم معين

ومما يؤيد تقدم المصريون في الهندسة تصميم الأهرام وتشييدها فإن هذا تطلب دقة في القياس.

اقامة الجسور وبناء الخزانات- اهتم ملوك الدولة الوسطى وخاصة ملوك الأسرة الثانية عشر بمشروعات الري واصلاح الأراضي وبخاصة في اقليم الفيوم. فقد قام امنمحات الثالث بإصلاح أراضي الفيوم ورغبة في الاستفادة من ماء الفيضان الزائد عن الحاجة روي خزنها في منخفض الفيوم ثم تصريفها عند الحاجة لري مساحات كبيرة من شمال الفيوم وقت الجفاف وقد دعاه ذلك إلى إقامة سد كبير عند مدخل الفيوم زوده بفتحات وقنوات لتصريف ما تدعوه الحاجة إلى التصريف من مائه المخزون. ولذلك أمكن اكتساب ٢٧٠٠٠ فدان من غمر الفيضان، وهذه الطريقة أمكن تحويل اقليم الفيوم إلى بقعة من أخصب بقاع مصر. واهتم كذلك بمعظم عمليات الري والصرف.

مقياس النيل- اهتم امنمحت الثالث بإقامة مقياس النيل عند سمنه وكان الغرض منه تقدير المحصول وبالتالي تقدير الضريبة اذ أصدر أمر إلى حامية قلعة سمنه بان تقيس في جهتها أقصى ارتفاع المياه النيل كل سنة فبذلك تأسس مقياس للنيل هنالا. ومن النقوش التي على أحجار هذا المقياس يستنتج أن ارتفاعات مياه النيل كانت أعلى مما هي عليه الآن بحوالي ٢٥ أو ٣٠ قدما. وعلى أساس هذه المقاسات يمكن تقدير كمية الحبوب الممكن انتاجها من البلاد في السنة التالية وعلى ذلك يمكن تقدير نسبة الضرائب والرسوم التي تطلبها الادارة المالية من ذوي الأملاك.

التجارة - أولا- التجارة الداخلية: ظلت المقايضة هي الطريقة السائدة في هذا العصر، وكانت المعاملات التجارية منظمة جدا واستخدمت الأثقال النحاسية (الدين).

ثانيا - التجارة الخارجية: وقد ورد ذكرها في الدولة القديمة. ويلاحظ أنه كانت هناك علاقات تجارية بين مصر وجزر البحر الأبيض المتوسط وخاصه جزيرة كريت بدليل العثور على أواني فخارية ملونة ومزخرفة من طراز فخار بحر أيجه، عثر عليها في مصر.

توجد بعض البرديات الطبية تتضمن عددا كبيرا من أوصاف وأعراض أمراض معينة والوصفات التي تتخذ علاجا لها وأهم الأوراق البردية التي تتعلق الطب ورقة ايبرس البردية.

وكان الأطباء المصريون يعتقدون انهم يستطيعون بكل سهولة أن يروا ما يؤلم مرضاهم وكانوا يدركون أن المعرفة الدقيقة للمرض هي أساس العلاج .. وبعد تشخيص المرض تأتي مرحلة اختيار الدواء فبعض الأدوية كان سريع المفعول والبعض الاخر كان أثره ابطأ ولكنه أضمن.

وكان على الطبيب أن يراعي سن المرضى وبمقتضاه يصف الدواء.

وأغلب العقاقير المستعملة تكاد تحضر من النباتات ومعرفة النباتات معرفة جيدة كانت من الأمور الأساسية بالنسبة لكل طبيب مصري. وكانت هناك بعض الملاحظات الضرورية عند تحضير الدواء واستعماله مثال ذلك، يغلق ويخلط بعضه ببعض و تعمل منه وضعيات (لزق) أربع مرات .. ولقد كان يراعي الدقة في التعبير فهناك تعبيرات مختلفة مثل (يدق – يخلط – يمزج .. الخ)

الجراحة (بردية ادون سميث)

ترك المصريون القدماء مؤلفا هاما في الجراحة كتب على أساس علمي صحيح ويتضمن وصفا منظرا مدروسا بعناية لمختلف حالات الاصابات والجروح الخاصة بأجزاء الجسم المختلفة. وكانت كل حالة على حدة مرتبة حسب أصول موضوعة وهذا يدل على أن الأطباء والجراحين المصريين شخصوا كثيرا من الحالات تشخيصا صحيحا وعرفوا طريقة علاجها.

الفصل الثاني

النظم الإدارية - سقوط الدولة الوسطى

الحكومة - الإدارة الحكومية كان على رأسها الوزير الذي يعينه الملك وكان يقوم بمعاونة عدد كبير من كبار الموظفين موزعين على ادارات مختلفة وكان للوزير الأشراف الأعلى في المسائل الخارجية والداخلية كما كان له الاشراف على فرض الضرائب بتجنيد رجال الجيش والعيال، وكان مكتب الوزير يعتمد في ذلك على تقدير صحيح بقدر الامكان الحالة السكان أساسه قوائم خاصة بعدها رب كل أسرة ويضمنها أفراد أسرته وخدمه واتباعه. وكان الوزير يشرف أيضا على مكتب تسجيل الأراضي وعلى أساس ذلك كان له حق الفصل فيما كان ينشأ من منازعات بشأن تحديد ملكية الأراضي.

وكان كذاك الرئيس الأعلى للقضاء وكان له حق الاشراف على الأمن وقوة البوليس بصفته حاكماً للعاصمة وكانت أهم ادارات الحكومة المركزية ادارتان هما الادارة المالية وادارة الاعمال العامة وكان يشرف عليهما رئيسا بيتي المال وكان عليهما مراقبة إيرادات ومصروفات الحكومة والعمل على زيادة دخلها والاشراف على ما يدفع لمصر من جزية والاشراف على ادارة العمل في المناجم إما إدارة الاعمال العامة فتقوم بإقامة المباني في العاصمة وتشييد الجبانة الملكية والمعابد المختلفة في انحاء البلاد واقامة الحصون وحفر الترع وما يتطلبه ذلك

كله من بنائين وفنانين وكان لكل فريق رؤساؤه وملاحظوه وكتبه.

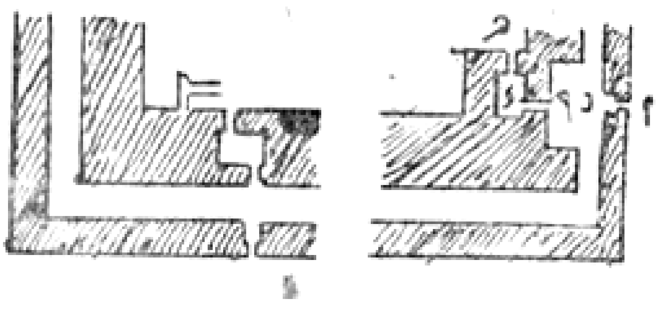
احصاء السكان – كان إحصاء السكان والأملاك في القطر يعمل بنظام ودقة اذ كان يتحتم على كل رب أسرة أن يسجل عدد أفراد أسرته وخدمه وعبيده في أحد مكاتب الوزير أمام ((رؤساء القضاة العشرة الجنوبيين)) ولا بعد أن هذا الاحصاء كان يكرر كل خمس عشرة سنة وأن السجلات كانت تحفظ في مكاتب معدة لذلك والمعروف ان ديوان الوزير كانت تحفظ فيه سجلات الحكومة جميعها وبياناتها الخاصة بالأراضي والاحصاءات والضرائب.

تكوين جيش دائم: نرى في عهد الأسرة الثانية عشرة أن الملوك وأتباعهم من رجال الحرس يكونون قوة تذود عنهم وتحميهم ونراه يزودون أنفسهم بجيش خاص ولم يضطروا للاستعانة بقوة من الأمراء المحليين بل إننا نرى في النصف الثاني من حكم الأسرة الثانية عشرة أن كل القوات الفرعية تنحل ويفقد الأمراء نفوذهم بينما يكون الملك لنفسه جيشاً كاملاً لا حرساً خاصاً فقط. كما نلاحظ أن السكينة والسلام يسودان النصف الثاني من الأسرة الثانية عشر ولقد استطاع سنوسرت الثالث القضاء على نفوذ أمراء الاقاليم نهائيا وبذا قضى على النظام الإقطاعي وأصبحت السلطة محصورة في يد الملك وموظفيه. وليس من شك أن ذلك يرجع إلى تأليف جيش ثابت للملك اعتمد عليه في تدعيم سلطات الداخل في والخارج وقد أنشأ الملك علاوة على ذلك فرق الضباط أطلق عليهم اسم "أتباع الحكام" كانت على صلة مباشرة بالملك

تتبعه حينما انتقل لتحميده من غائلة المخاطر في الداخل والخارج وقد كان لهذه الفرقة أثر كبير لتدعيم نفوذ الملكية وسلطانها خلال ملوك الأسرة الثانية عشرة.

الحصون: أحاط القدماء المصريين معظم مدنهم وكثير من قوام الكبيرة بأسوار متينة وما هو جدير بالذكر أن المصريين في الدولة الوسطى عنوا بتحصين بعض الأجزاء في البلاد في الجنوب بالقرب من أسوان كان يقع "الباب الجنوبي" وفي شرق الدلتا شيدوا في عهد الدولة الوسطى حصن كبير هو "جدار الحاكم" والغرض منه رد غارات الآسيويين وكان الجند يقيمون فيه ويرقب الحرس من على سطحه الأعداء. أما كيفية تشييد تلك الحصون في الدولة الوسطى فأمكن معرفته من الأطلال الباقية من حصن سحنة في بلاد النوبة فكان الحصن عبارة عن بناء ضخم له أبراج خارجة كثيرا ويحيط به من الخارج جدار مرتفع.

ومن الحصون التي ترجع إلى عهد الدولة الوسطى كذلك حصن في أبيدوس يعرف بشونه الربيب (انطر الشكل ١٤).



حصن شونة الزبيب بابيدوس

سقوط العصر الإقطاعي:

استمر نفوذ أمراء الاقطاع حتى عهد سنوسرت الثالث الذي يشبه نفوذه نفوذ الفراعنة في الدولة القديمة حيث كسر شوكتهم ومحى نفوذهم. وذلك لأن الملوك أدركوا خطورة الإقطاع وخطورة نفوذ حكام الاقاليم وسلطانهم فاستطاع سنوسرت الثالث أن يخضع حكام الأقاليم لنفوذه تماما إذ أن نفوذه كان قد ازداد بدرجة كبيرة فاستطاع سنوسرت الثالث القضاء عليهم نهائيا وبذا قضى على النظام الإقطاع وأصبحت السلطة محصورة بين يدي الملك وموظفيه وليس من شك في أن ذلك يرجع إلى تأليف جيش ثابت للملك اعتمد عليه في تدعيم سلطانه في الداخل والخارج كما أنشأ الملك فرقة من الضباط على صلة مباشرة بالملك تتبعه حينما ينتقل لتحميه من المخاطر وقد كان لهذه الفرقة أثر كبير في تدعيم نفوذه للملكية وسلطانها خلال حكم ملوك الأسرة الثانية.

غزو الهكسوس:

بعد انتهاء الأسرة الثانية عشر قام نزاع على العرش فأت بذلك عصر من التقلقل والاضطراب السياسي وعصف فيه التنازع على العرش بالمملكة عصفة قوية ومزقها مما جعلها غنيمة سهلة الوقوع في أيدي المغيرين فقد أخذت سيول من الشعوت تتدفق من آسيا الصغرى متجهة نحو الجنوب والغرب حاملة معها غزاة من الأجانب إلى داخل البلاد، وهؤلاء هم الهكسوس الذين دخلوا البلاد وغاروا عليها من الناحية الشرقية واستولوا على الجانب الشرقي من الدلتا واتخذوا فيها أواريس

مقرا لهم ومنها فرضوا ضرائبهم على مناطق الوجه القبلي. ولم يسيطر الهكسوس على غرب الدلتا وعلى جزء من وسطها. وقد استمر نفوذ الهكسوس قرابة قرن ونصف من الزمان فتأثروا بالعادات المصرية إلى أن اصطبغوا بالصبغة المصرية. وكلمة الهكسوس كلمة مكونة من مقطعين معنى حكام البلاد الأجنبية.

لم يترك الهكسوس بمصر آثارا تذكر إذ أن هذا العهد كان بغيضاً عند المصريين ولا يبعد أن تكون آثاره التي خلفوها قد حطمت في أثناء الصراع بينهم وبين المصريين أو عقب طردهم من مصر. ومعظم أسماء ملوك الهكسوس سامي عبري ، ولذا رجح الأثريون أن يكون هؤلاء الهكسوس من عناصر سامية ومن أشهر الأسماء التي ذكرت خيان وأبا خنان ونحمن وهي أسماء عبرية سامية. وقد دخل الهكسوس مصر دون مقاومة تذكر نظرا لحالة الضعف في عهد الأسرة الثالثة عشر الذي مهد لاستقلال بعض أمراء الدلتا بالوجه البحري وقسمين للأسرة ١٤ ولقد عاش الهكسوس في البلاد فساداً فهدموا المعابد ولم يحترموا إلا الإله ست ولعل ذلك يشبه من وجوه كثيرة بعض آلهتهم كما أنهم استعبدوا المصريين ولذا ليس من الغريب أن تبدو روح الحيد والكراهية في نفوس المصريين ضد هذا الشعب فلم نعثر على ذكر لهم في الجداول الشهيرة كما لم نعثر على آثار في أواريس، ولم يتعد ما عثر عليه من آثار ملوكهم بضعة حبارين و مذبح صغير للملك أبو فيس وقطعة من اناء وكذلك عثر على تمثال صغير للملك خيان. ولقد بدأ الصراع بينهم وبين المصريين

من عهد ملك يدعى سقن رع (قاعا الكبير) وهو أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبة وجاء بعده ابنه كاموزا فاستمر في صراعه ضد الهكسوس ولما توفي خلفه أحمس والذي يعتبره مانيتون مؤسسا للأسرة الثانية عشر وقد تابع الحرب ضد الهكسوس حتى أجلاهم عن البلاد نهائياً.

الباب الخامس

الفصل الأول

الدولة الحديثة

طيبة وآثارها:

يبدأ العصر الذهبي لمدينة طيبة وبلغت أعلى درجات العزة والرفاهية في عصر الأسرة ١٨، حين أصبحت مقرا لحكم الأسرة الثامنة عشرة، واختارها ملوك هذه الأسرة والأسرات التي تلتها لكي تحوي جثمانهم. وامتازت هذه المدينة ما فيها من معابد ومقابر، وأهم تلك المعابد معبد الكرنك ويقع على الضفة الشرقية للنيل وكان مخصصا للإله آمون رع ومعبد الأقصر الذي أقامه امنحتب الثالث وكان مخصصاً أيضاً للإله آمون رع كما أنه يقع على الضفة الشرقية للنيل ويصل من معبد الأقصر ومعبد الكرنك طريق طويل صفت على جانبيه تماثيل ويطلق على هذا الطريق اسم طريق الكباش. أما معبد الدير البحري فقد شيدته الملكة حتشبسوت في سفح جبال طيبة الغربية وأتبع في بنائه نظام الشرفات إذ يشتمل على ثلاث شرفات مدرجة أما الشرفة العليا فكانت على شكل ساحة تحيط بها صخور شاهقة محفور فيها قدس الأقداس، وقد صنعت ابواب المعبد من البرواز المطعم بخليط من الذهب والفضة، كما غرست اشجار المر المستحضر من نونث في تلك الشرفات. وقد دونت الملكة حتشبسوت على جدران هذا المعبد أخبار البعثة التي

أرسلتها إلى بلاد بونت كما إنها صورت مناظر الرحلة إلى تلك البلاد.

ويوجد في طيبة أيضا تمثالاً ممنون اللذين يمثلان امنحتب الثالث وكانا مقامين أمام معبده في طيبة

وعاد الخمول إلى طيبة في عهد إخناتون حينها هجر طيبة وأنشأ عاصمته الجديدة في تل العمارنة. وعندما نصب حورام حب نفسه ملكا على مصر، رجعت طيبة إلى مجدها القديم ونعمت ابان عصر الاسرة ١٩ بعصرها الذهبي وقام ملوك الأسرتين ١٩ و٢٠ بتشييد الأبنية الضخمة في طيبة ومن أهمها معبد الرامسيوم الذي شيده رمسيس الثاني، ودون على جدرانه أخبار حروبه وانتصاراته. ومعبد مدينة هابو، وقد شيده رمسيس الثالث ودون عليه حروبه وانتصاراته، ومناظر الصيد، وقد تم ذلك رغم أن طيبة ابان عصر الأسرتين ١٩ و٢٠ لم تكن العاصمة السياسية للإمبراطورية المصرية، بل بقيت كمدينة دينية وكجبانة. وانتعشت طيبة مرة أخرى في عصر الأسرة السادسة والعشرين فعثر على عدة مقابر من هذا العصر فيها وبعد ذلك كبت طيبة كبوتها الطويلة المدى حتى آخر العصر الفرعوني. (أنظر شكل ١٥).



(شكل ١٥)

المعابد

معابد المصريين القدماء من أضخم وأعظم المعابد التي خلفها لنا الأقدمون وإنها كانت تحوي كل أنواع العظمة في الفن المعماري.

وتنقسم المعابد التي خلفها المصريون من عصر الدولة الحديثة إلى أقسام:

١- **معابد الآلهة:** وهي أبنية ضخمة تتميز بفخامة الأسلوب المعماري والزخرفي وتعتبر بمثابة مرآة صادقة التقدم الاجتماعي لمصر في عصر الامبراطورية وأمثلة هذه المعابد منتشرة في كل مكان ونخص بالذكر معبدى الكرك والأقصر ومعابد ملوك الأسرة ومعابد البطالة.

٢ - **المعابد الجنازية:** وهي تختلف عن المعابد الموجودة على الشاطئ الشرقي من الأقصر فبينما كانت معابد الأقصر والكرنك معابد الهية اشترك في اقامتها ملوك عديدون وخصصت لعبادة الآلهة كانت معابد الرامسيوم ومعبد مدينة هابو على الشاطئ الغربي للنيل معابد جنازية أقامها الملوك لأنفسهم فكان كل ملك يشيد لنفسه معبدا الغرض منه تقديم القرابين والقيام بالطقوس الدينية الروح الملاك المتوفي المدفون في مقبرة فهو بهذا جزء من المقبرة التي ينتسب اليها ،ولو أنه منفصل عنها بعض الانفصال.

وأهم المعابد الجنازية معبد الرامسيوم الذي بناه رمسيس الثاني وهو مملوء بالنقوش سواء من الداخل أو الخارج وتمثل الملك في حروبه وغزواته وبخاصة حربه ضد الحوثيين.

٣- **معابد ضخمة محفورة في الصخر:** تتفق في تقسماتها مع المعابد الضخمة المخصصة للإله ومثل هذه المعابد معبد أبو سنبل في بلاد النوبة. وكانت المعابد تبنى بالقرب من شاطئ النيل وتتصل بطريق مرصوف ينتهي عند الشاطئ بمرفأ صغير وكان هذا الطريق المرصوف الذي يصل بين البوابة وبين النيل يحاط في بعضه بتماثيل حيوانات مقدسة مثل الكبش أو أبو الهول. وكانت واجهة المعبد والتي تسمى بالصرح (البيلون) تتكون من برجين وتوسط البرجين بوابة كبيرة. ويوجد في كل برج فجوات تمتد من أعلى إلى أسفل وفي كل فروة عدة فتحات صغيرة لتثبيت قوائم الأعلام الشاهقة، وأمام البرجين يوجده مسلتين. واعتاد ملوك الدولة الحديثة أن يقيموا تماثيل ضخمة على جانبي البوابة التي تتوسط البرجين.

ويلي الصرح فناء واسع مكشوف نجد أحياناً على جوانبه الثلاث أعمدة مغطاة بسقف يصل بينها وبين جوانب هذا الفناء بحيث تبدو كبواكي. ويلي هذا الغناء ما يعرف باسم صالة الأعمدة، وهو يحدد المكان المقدس الذي لا يستطيع الجمهور العادي أن يدخله، وامتازت صالة الأعمدة في عصر الدولة الحديثة بأنها كانت تتكون من ثلاثة أقسام، القسم الأوسط فيها تعلو أعمدته على أعمدة القسمين الجانبين وكان هذا العلو يستغل لإقامة منافذ الاضاءة هذه الصالة التي كانت مغطاة. وكانت الأعمدة ذات قمم نباتية وألوان زاهية تضفي عليها الاضاءة البسيطة نوعا من الرهبة، وأحيانا كان يتبع هذه الصالة

الكبيرة للأعمدة صالة أخرى أصغر منها ذات أعمدة غير عالية. ثم نجد بعد ذلك قدس الأقداس الذي يتكون في كل معابد طيبة من ثلاث حجرات للثالوث المقدس الخاص بالعبد (هذا الثالوث هو آمون رع – موت – خونسو) وكان قدس الأقداس يتكون من حجرة ليس لها منافذ إلا المدخل يتوسطها قاعة حجرية عالية يوضع عليها الناموس الذي يحوى تمثال الآلهة. وفي سقف هذه الحجرة نجد فتحة صغيرة تسمح في موعد معين من النهار بدخول شعاع من الشمس ينصب عليها عموديا على التمثال.

وهناك غير ذلك بعض حجرات صغيرة جانبية تحيط بقدس الأقداس بعضها يعتبر كمخزن لنفائس المعبد والبعض الآخر يختص بالنظافة الداخلية من تطهير وإلباس المعبود.

هذه هي العناصر الضرورية التي تتألف منها جميع المعابد.

المسلات

أثارت المسلات الكثير من الجدل بين العلماء من عدة نواحي كقطعها ونقلها من المحجر وإقامتها والهدف منها وغير ذلك. وظهور المسلة متصل بعبادة الشمس فهي رمز من رموز هذه العبادة. والمسلة عبارة عن هرم صغير قائم على قاعدة مرتفعة جداً ذات جوانب مائلة إلى الداخل إلى أعلى، وعلاقتها بالشمس غامضة غموض علاقة الهرم بالشمس، ويذكر الأستاذ برستد أن الشمس كانت من أولى المعبودات، وأن المسلة كانت رمزاً لها يقام في قدس الأقداس ولقد كانت مسلات الملوك تنصب في

إحدى الحفلات (عيد الحب سد وهو العيد التذكاري لمرور ٣٠ عاما للتتويج) ثم أخذت تقام بعد عشرين عاما حتى أصبحت تقام كل عامين أحيانا. وكانت المسلات تقام عادة على جاني الباب خارج الصرح. وترجع المسلات الكبيرة الضخمة إلى الأسرات ١٢، ١٨، ١٩.

والمسلات من هذا الطراز عبارة عن كتلة كبيرة من حجر صلب هو الجرانيت الوردي عادة ،وهي مصقولة الجوانب سجلت عليها الألقاب الملكية والدافع إلى إقامتها أحيانا. وقد يصل ارتفاعها إلى عشرين مترا أو خمسة وعشرين مترا أو ثلاثين متراً (مسلة حتشبسوت بالكرنك) أو ٣٧ متراً.

وكانت قمة المسلة تغطى بصفائح من البرونز أو الذهب أو الالكتروم (خليط من الذهب والفضة بنسبة معينة من الفضة) وقد يغطى جسمها بالذهب كذلك. ولقد صنعت معظم المسلات الملكية الضخمة من الجرانيت الوردي من أسوان. وكانت البكرات تستخدم لنقل المسلات على الأرض الممهدة وكانت تنقل من مكان إلى آخر بواسطة السفن حتى المكان الذي تقام فيه.

المقابر

المقابر الملكية- اتخذ ملوك الدولة الحديثة ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة طيبة قاعدة لحكمهم واستقروا فيها، واختاروا مكانا لإقامة مقابرهم وهي المنطقة الجبلية التي تسمى وادي الملوك على الشاطئ الغربي من طيبة (الأقصر الحالية). ولقد ترك الملوك الشكل الهرمي

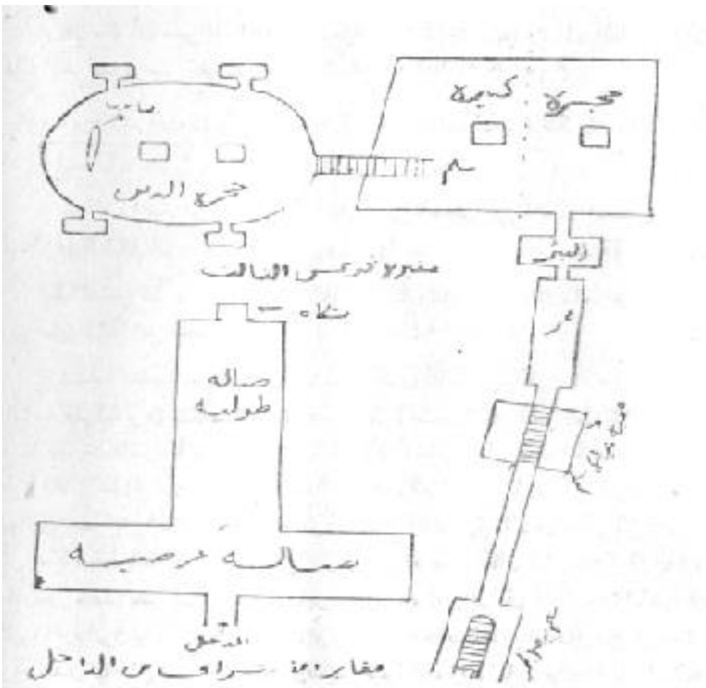
لأنهم وجدوا أن هذا الشكل يوحي بوجود مقبرة تلفت أنظار اللصوص. ولقد رأى ملوك الدولة الحديثة اخفاء مقابرهم في أماكن متباعدة لا يمكن لأحد أن يتعرف على مواضعها وكان وادي الملوك في بعده وانعزاله ووعورة الطرق المؤدية إليه أحسن مكان لهذا الغرض، بينما المعابد الجنائزية التي كانت تقام فيها طقوس تقدمة القرابين فقد بنيت في الوادي عند المزارع لا يربطها بالمقبرة نفسها حيث توجد جثة الملك إلا خطاً وهمياً مستقيماً يمتد بين المعبد وبين المقبرة المنقورة في الصخر. ولقد بني ملوك الدولة الحديثة مقابرهم منحوتة في الصخر. وتمتاز المقابر الملكية بكثرة حجراتها وتعدد صالاتها وممراتها وكثرة النقوش الدينية الممثلة للدنيا الثانية، والمناظر التي ترسم على مقابر الملوك تنقسم إلى اقسام كثيرة فهناك مناظر تبين الملك في علاقاته مع الآلهة، ورسوم ونصوص نقلت عن كتاب الموتى ... الخ.

ويجب علينا أن نستعرض نموذجا لإحدى المقابر الملكية وهي مقبرة تحوتمس الثالث:-

هذه المقبرة في شكلها تمثل زاوية قائمة وهي على محورين، وتبدأ المقبرة بسلم منحدر يوصل إلى داخلها ويتصل بممر طويل منحدر في داخل الصخر ويوصل هذا الممر بدوره إلى حجرة تكاد تكون مربعة يتوسطها سلم آخر منحدر وينتهي هذا السلم يمر آخر يوصل إلى فوهة إثر عميقة مربعة اختلفت الآراء في أهميتها فيرى البعض إنها كانت لتضليل اللصوص ويرى البعض الآخر إنها عملت لتتلقى مياه الأمطار،

والتي إن هطلت فإنها تطل على هيئة سيول وبذلك تحتجز هذه المياه فلا تصل إلى حجرة الدفن. وبعد هذه البئر نجد صالة كبيرة بها عمودان وهذه الصالة تمثل المحور الأول للمقبرة.

وفي نفس الوقت يبدأ منها المحور الثاني اذ يتفرع منها سلم آخر يصل إلى حجرة الدفن البيضاوية الضخمة وهذه الحجرة يتوسطها عمودان، وفي أقصى مكان منها نجد التابوت. ولقد حفرت أربعة حجرات صغيرة جانبية، حجرتين على كل جانب من حجرة الدفن.



(شكل ١٦)

ويلاحظ أن ممرات المقابر الملكية عادة تكون منحدرة إلى الداخل وأن هذه الممرات توصل كلها إلى حجرة الدفن. (أنظر شكل ١٦).

مقابر الاشراف- كانت تحفر في الصخر وكانت المقبرة تتكون من الأجزاء الآتية:-

١- فناء واسع مربع جدرانه حفرت في الصخر على اعماق مختلفة وتغطى السطوح لهذا الفناء بطبقة من الطمي وأحياناً تبنى حوائط غير سميكة من اللبن.

أما المدخل الموصل إلى داخل المقبرة فكان عادة في الجانب الغربي للفناء ويوصل إلى داخل المقبرة المحفورة في الصخر.

٢- أما المقبرة من الداخل فكانت تتكون عادة من صالتين الأولى عرضية والثانية طولية وهما متعامدتين وتوجد حجرة صغيرة عند آخر الصالة الطولية أو توجد مشكاة وذلك لوضع تمثال الميت في المقبرة أما الجزء الخاص بدفن الجثة ،فكان عبارة عن حجرة تحوي التابوت والاثاث الجنازي ويمكن الوصول اليها بواسطة بئر اما في أرضية الحجرة المخصصة للتماثيل وذلك في المقابر التي تحوي مثل هذه الحجرات اما المقبرة التي تحوي مشكاة فقط فكان البئر يحفر في الفناء الخارجي. هذا هو الشكل العام المقابر عظماء الدولة واشرافها في الدولة الحديثة مثل مقبره الوزير (رخ مي دع). ولقد حوت هذه المقابر الكثير من الرسوم فوق جدرانها مثل فلاحة الارض وصيد الحيوانات والالعاب والصناعات المحلية ومناظر تتعلق

بمراسيم الدفن والحياة السفلى الاحتفال بدفن الجثة وما يتبع ذلك من طقوس دينية ومنظر تقديم القرابين إلى صاحب المقبرة.

الفصل الثاني

استخدام الخيل

كان المصريون في الدولة الحديثة يقدرون المركبات والخيول تقديراً عظيماً ،ولم تكن تخلو أسرة من أسر الاشراف من سائق المركبة.

وعلاوة على استخدام الخيل في جر العربات كانت الخيول تستخدم أيضاً في القتال وكان يختار منها ما كان شديد الحماسة. وكانت الخيول المصرية تمثل دائما وهي تشب أو تضرب الأرض بقوائمها في هياج وكان المصريون يستخدمون الذكر من الخيل عادة أما الأنس فكان استخدامها نادراً.

ولم يستخدم الحصان في مصر القديمة في الركوب الا في أحوال نادرة جدا إذ من النادر أن نجد صورة تمثل مصرياً يمتطي جواداً. وليس في سائر الآثار الأدبية للدولة الحديثة موضع واحد يتحدث على وجه التحقيق عن فارس مصري على أنه من جهة أخرى كان المصريون في الدولة الحديثة يعرفون أن ركوب الخيل عادة أجنبية، ويدل على ذلك كثير من الصور المختلفة التي تمثل الأعداء الهاربين على ظهور الجياد.

وكان من أهم ما استعمله المصري كأداة للحرب العربة والحصان وقد أخذها المصريون عن الهكسوس. ومن العجيب أن المصري لم يكون فرقة من الفرسان بل لم يفكر في ركوب الخيل وان كان يشدها إلى

العربات طبعاً. ولقد أصبح الفرعون مصر اصطبلات تحوي آلاف من أجود الخيول الاسيوية.



(شكل ١٧)

تكوين الامبراطورية

واصل أحمس الأول الحرب ضد الهكسوس حتى أجلاهم عن البلاد وأخرجهم من الحدود المصرية ثم تتبعهم إلى فلسطين وظل في مطاردتهم حتى لبنان، وطهر مصر وفلسطين وسوريا منهم تماما وأصبح في مأمن من شرهم. وبعد ذلك وجه أحمس همه إلى بلاد النوبة وامتدت الحدود المصرية الجنوبية حتى الشلال الثاني، ودانت فلسطين للحكم المصري. ولقد كان للصراع ضد الهكسوس أثره على الشعب المصري،

إذ تعم الشعب المصري طرق الكفاح. وأصبح المصري يتلهف على الالتحاق بالخدمة العسكرية لأنه أدرك ما يجلبه الخروج إلى القتال من شهرة وثروة ومراكز سامية، واندفع الشعب المصري نحو تيار عسكري. ودخلت وحدات جديدة في الجيش المصري، وهذا الوحدات كان عمادها العربية والحصان. ويلاحظ أن المصريين هم أول من فكروا في مفاجأة العدو بحركة حوله، وهم أول من أنشأوا فرقة هائلة من العربات كانت تهجم مباشرة فتنشر الذعر في صفوف الأعداء. وفي عهد تحوتمس الأول تجد أنه ثبت لوحة حدود في الشمال عن قرقميش، أما في الجنوب فقد ثبت حدود مصر عند الجندل الثالث.

أما تحوتمس الثالث فقد أراد توسيع ممتلكات مصر وتثبيت سلطانه في فلسطين والشام وقام بعدة حملات بلغت سبع عشرة حملة لتحقيق غرضه في مدة تقرب من ١٩ عاماً، وقد تنوعت الأهداف التي ترمي اليها الجلات ما بين حملات لتوسيع ممتلكات مصر في آسيا وبلاد النوبة، وما بين حملات تأديبية، أو حملات لاستلام الجزية، وحملات التفتيش على الممتلكات، وفي هذه الحملات و اصل تحوتمس الثالث غزواته ضد سوريا إلى أن اخضعها تماما فكان من أثر ذلك أن ارتفعت منزلة مصر فأصبحت قوة عالميه يحسب حسابها حتى أن البلاد البعيدة كبلاد بابل وآشور بعثوا بهداياهم. واستمرت الحروب كذلك في بلاد النوبة إلى أن أصبح سلطان مصر في أواخر حكمه يمتد من شمال سوريا وأعالي الفرات حتى الشلال الرابع وما

يحيط به جنوبا ويبدو أن طول العهد السلمي الذي نعمت به مصر في مدة حكم حتشبسوت كان له أكبر الأثر في هذه الحملات إذ بدأت البلاد الأسيوية تشعر بخفة ضغط مصر فأخذت يمتنع عن دفع الجزية، وظهرت إمارات صغيرة قويت شوكتها تدريجيا مثل الميتاني، وفي بلاد النوبة ظهر إمارة كوش أيضا، وجمعت البلاد الأسيوية كلمتها تحت رئاسة ملك قادش وأخذت تهدد حدود مصر مما اضطر تحوتمس الثالث إلى القيام بحملاته وغزواته.

بلغت الامبراطورية المصرية ذروتها في عهد تحو تمس الثالث بمركزها. وفي أواخر عهد أمنحتب الثالث ظهرت بوادر الثورة في آسيا إذ ظهرت دولة الحيثيين، ولم يكن أمنحتب الثالث رجل حرب. وفي عصر امنحتب الرابع (إخناتون) أخذت المدن السورية تنفصل الواحدة منها تلو الأخرى. ولم يذهب الملك لملاقاة الثائرين بقوة جيوشه وسلاحه وإنما انصرف إلى المعتقد الجديد وهو ديانة آتون. وعندما تولى رمسيس الثاني عرش مصر عمد إلى اخضاع الولايات الآسيوية التي خرجت على مصر وأخضع فلسطين والساحل الفينيقي وحدثت معارك بينه وبين الحيثيين وأهمها معركة قادش. وانتهى النزاع بين رمسيس والحيثيين بعقد الصلح بين الطرفين وابرام معاهدة تحالف وصداقة بين رمسيس وملكهم. (أنظر شكل ١٧).

الأسطول

قام المصريون في وقت مبكر برحلات بحرية وكان ذلك بالقرب من الشاطئ وكانت السفن تستخدم في نقل الجيوش إلى البلاد المختلفة.

وفي المناظر الكبيرة المنقوشة في المعبد الجنازي للملك ساحورع نجد منظراً يمثل عودة اسطول مصري من المياه الآسيوية وهذا المنظر يدل على قدم رحلات المصريين إلى المدن الغنية على ساحل سوريا.

وفي معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحري نجد مناظر السفن البحرية في الرحلات إلى بونت وكان الأسطول المرسل إلى تلك البلاد مؤلف من خمس سفن بحرية لكل منها مجداف وشراع ضخم. وفي معبد رمسيس الثالث بمدينة هابو نجد منظرا يمثل معركة بحرية بين سفن رمسيس الثالث وسفن اعدائه شعوب البحر الأبيض المتوسط. فقد جهز رمسيس الثالث اسطولا ضخما ووزعه على الموانئ الشمالية وكان الأسطول المصري مزودا بأحسن البحارة المصريين المسلحين جيدا ولذلك الحقوا الهزيمة والتلف بسفن الأعداء وستطاع الاسطول المصري أن يتقدم نحو الأسطول الأجنبي احتل وحداته ويفتك برجاله فانتشر الذعر بين الأعداء ودبت الفوضى في صفوفهم وغرق من سفن الأعداء ما غرق ودب الرعب في نفوس الأعداء وألقوا اسلحتهم في البحر. ولقد كان المصريون يعرفون كيف يقلبون السفن المعادية وبعد ذلك سحبت السفن مقلوبة إلى الشاطئ.

الفصل الثالث

أمنحتب الثالث

بلغت مصر في عصره أعظم درجات الرقي والحضارة. ولقد جمع امنحتب الثالث في شخصه كل مجد مصر فولد في مهد من الثروة والغني نتيجة للجزي الطائلة المتتالية وخاصة من ذهب النوبة. ووجد الحياة حوله كلها نعمة وترفاً ، فانغمس فيها وربما شجعه على ذلك السلم الذي بدأ به عصره. وركنت الامبراطورية في عهده إلى مهاد الراحة والطمأنينة وهناك بعض الكتب من مواليه في شمال سوريا يتحدثون عن خلافات بينهم وبين اندادهم ولكنه مع ذلك لم يتحرك بل غلا في ملاذه حتى يقال عن عصراً بانه بلغ ذروة الأبهة والفن. ولقد تزوج في السنة الثانية من حكمه من سيدة كان لها أثرها في تاريخ الامبراطورية جمعاء هي "تى"، ولقد سجل نبأ الزواج على الجعلان. ولقد كان أمنحتب رغم انغماسه وحبه للملاذ ضعيفاً ولقد مزج نفسه بزوجته تي.

وهو لم يبدأ حكمه بإخماد ثورة تقوم ضده كما حدث مع أسلافه بل لم يهدده خطر من ناحية الاقاليم الأسيوية كالمعتاد .. ولقد كان مغرماً بصيد الوحوش. ولقد وصف امنحتب الثالث بانه أول فرعون محي ما بينه وما بين الرعية من فروق.

ولقد كان أمنحتب الثالث ملكا لا يلقي بالا إلى شئون الامبراطورية ولا يهتم إلا بشخصه ووصلت مصر في عهده إلى مجدها الفني وبدأت

تنعم بشار الحروب السابقة وبالاستقرار حتى اصبحت محط انظار الشرق القديم وموضع حسد ملوكه.

وقام بتشييد عدة أبنية في الكرنك ومعبد الأقصر والبحيرة التي حفرها في طيبة كما وصل معبد الأقصر بمعبد الكرنك بطريق الكباش المعروف.

الديانة في الدولة الحديثة

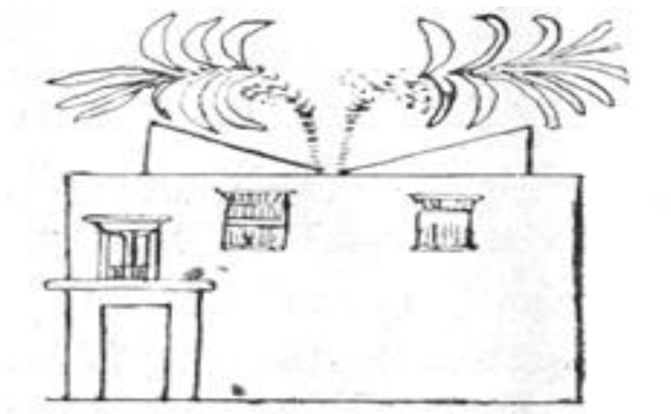
كانت الديانة الرسمية في الدولة الحديثة هي عبادة الإله آمون رع، فقد كان الإله آمون رع إلهاً للملكة وأكبر إله في البلاد، حتى أنه اتخذ لقب ملك الآلهة. ولقد كان آمون في الأصل معبود طيبة المحلى ثم صار فيما بعد إله مصر بأجنها. ولقد ازداد نفوذ كهنة آمون زيادة كبيرة مما أدى بهم في النهاية إلى خروجهم من مهمتهم الأصلية وتدخلوا في شئون الدولة تدخلا كبيرا، وكان نفوذهم أول الأمر محدودة إلا أن قيام الأسرة الثامنة عشرة جعل من الإله آمون الإله الرسمي للدولة، وكلما زادت انتصارات هؤلاء الملوك كلما ازدادت قوة ونفوذ هذا الاله وبالتالي ازدادت قوة ونفوذ كهنته. ولقد اتبع الملوك تقليدا كان من شأنه أن يزيد من نفوذ وثروة آمون والكهنة إذ كلما عادوا من نصر في الحرب قدموا العطايا والهبات للإله آمون.

العمارة

المنازل:

كانت منازل المدن تختلف عن منازل الأرياف فتصميم منازل المدن كان يتكون أحيانا من عدد من الغرف تحط من ثلاثة جوانب بفناء يغرس بالأشجار وأحيانا توجد الغرف حول ساحة في الوسط.

وكانت المنازل تتكون من طبقة واحدة أرضية غير أن البعض منها كان يعلوه طبقتين، وفي أغلب الأحيان كانت توجد طبقة واحدة علوية. (انظر شكل ١٨).



(شكل ١٨)

وكانت بعض الغرف الأرضية تستعمل كمخازن وبعضها يستخدم لاستقبال الزائرين أو من يأتون لأمر من الأمور على حين يشغل أفراد العائلة الدور العلوي.

أما الفلاحون والفقراء فكانوا يكتفون بمنازل بسيطة ساذجة تتكون عادة من أربعة جدران يعلوها سقف مستو من أغصان النخيل يسندها جذع وتغطيها حصر تطلى بطبقة سميكة من الطمي، ولها باب واجد ونوافذ قليلة ضيقة.

الفصل الرابع

النحت

كان فن النحت في الدولة الحديثة صورة معبرة لأثر الحوادث فيها، فتماثيل أواخر الأسرة ١٧ تدل على انحطاط المقدرة الفنية لدى المثال في ذلك الوقت نتيجة لحكم الهكسوس. ولكن بعد طرد الهكسوس ابتدأت فترة جديدة وهي أن ابتدأ الفنان يتحسس طريقة الفن من جديد، فاهتم الفنان بتمثيل التفاصيل وقد بلغ ذلك التجديد درجة كبيرة في عهد تحتمس الثالث وأمنحتب الثاني، فالتماثيل تمتاز باستدارة خطوطها وليونتها دون أن يفقدها ذلك شيئا من قوتها. وتجوس في ملامح الوجه ابتسامة تفيض تلالوا ونبلا وعزة. ونجد أن في هذه الفترة هناك صلة بين فن النحت فيها وبين فن النحت في الدولة الوسطى من حيث شكل التماثيل مثل تماثيل الملوك التي على شكل أوزيريس (تمثال أمنحتب الأول). أو على شكل أبو الهول وتمثال الملك وهو يقدم القرابين مثل تمثال حتشبسوت وتحتمس الثالت. أما عن مجموعات التماثيل الملكية فكانت قليلة ومنها مجموعة تمثل الإله آمون جالسا وتحتمس الأول والملكة أحمس. أما في عهد أمنحتب الثالث فينتقل من النحت إلى فترة جديدة، فقد كان عهده عهد سلام شامل توفرت فيه أسباب الهدوء والدعة. فالتماثيل تتسم بجمال خطوطها وحسن نسبها وحساسيتها المرهفة وشدة قربها للطبيعة بحيث أن التماثيل الملكية كانت تمثل الملك كانسان أكثر ما تمثله كإله عظيم.

أما تماثيل الأفراد في عهد الدولة الحديثة فهي قليلة نسبية وتقتصر لدرجة كبيرة على عدد قليل من عظماء الدولة وعلاوة على ذلك فقد استطاع المثال أن يبلغ حد الاعجاز في تمثيل الحيوان مثل تمثالا الأسد اللذين عثرا عليهما في صوليب بالنوبة.

وقد اعترى فن النحت تغيير شامل واتخذ طابع جديد في عهد أمنمحتب الرابع (إخناتون نتيجة للمعتقدات الدينية الجديدة وما تبعها من قواعد فنية تلائم هذه العقيدة ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد.

أما في عهد الزعامة فقد رجع النحت إلى تقاليد الفن القديم ومع هذا فقد كان من شأن الروح الفنية الجديدة التي سادت عهد إخناتون أن تترك آثارها واضحة ومن أجمل القطع الفنية تمثال رمسيس الثاني تفيض فيه روح العمارنة ولو أنه حل ملامح الوجه الحساسة اللينة ابتسامة خفيفة ويلاحظ أيضا دقة تمثيل الملابس إلى جانب هذا تجب الإشارة إلى التماثيل الضخمة التي أقامها رمسيس الثاني في المعابد التي أنشأها حتى تتفق في فخامتا مع فخامة العمارة فهي أشبه بالعمارة منها بأعمال النحت ومنها تماثيل أبو سنبل.

فن النقش والتصوير في الدولة القديمة

تنقسم جبانة طيبة إلى قسمين من ناحية نوع الأحجار التي تنقر فيها المقابر فبينما بعض المقابر كانت تحفر في أماكن يسمح طبيعة الحجر فيها للفنان أن ينقش الصور بالنقش البارز أو الغائر كان في أماكن أخرى يضطر الفنان أن يعالج الجدار حتى يستطيع أن يرسم عليه بالألوان دون النقش.

ونحن نجد أن عصر الملكة حتشبسوت والملك تحوتمس الثالث وكان من اتجاهاته الفنية هو الاعتناء بالنقوش. فمعبد حتشبسوت في الدير البحري يعد نموذجاً رائعاً لفن النقش وكذلك كان الحال في عصر أمنحتب الثالث والرابع وأوائل عصر الأسرة التاسعة عشرة.

ويلاحظ أن النقش الملون يسود في المعابد في حين يسود التلوين على الجص في المقابر. وكان لكل عصر في العصور السالفة أسلوب خاص في تركيب المناظر أي طريقة تصوير الفرد في المجموعة التي يتكون منها هذا المنظر وذاك من أمثلة ذلك أنه في العصر الأول من الأسرة الثالثة عشرة أي من ابتداء الأسرة ١٨ إلى أواخر عمر تحوتمس الثالث نرى الفنان يميل إلى تصوير الأفراد كما لو كان كل فرد منهم لا يمت للآخر بصلة كما أن الفنان كان يعني بأن يصور كل فرد في المجموعة التي يتكون منها المنظر باعتناء كامل بحيث يحيط بصورة فراغ كاف ، وهذا معناه أن الفنان حاول قدر استطاعته ألا يجعل صور الأفراد تتقابل أو تحتم حركة فردين متجاورين أن تتقاطع بعض أعضائهما في الصورة.

وصور ونقوش بداية الأسرة الثامنة عشر تمتاز بأناقة وخفة خطوطها وطراوة أشكالها وبهجة ألوانها. أما العصر الثاني من الأسرة الثامنة عشرة وهو الذي يمتد من أمنحتب الثاني حتى عصر تحوتمس الرابع فلم يتغير فيه استقلال صور الأفراد فكان الفنان يرسم صورة الأفراد كل على حدة وكان الفنان هدف دائما إلى إظهار كل علامات الجمال في الصورة

ونخص بالذكر صور السيدات فهي تمتاز فعلا في كل المقابر التي تمت في هذا العصر بالأنوثة والليونة في الأعضاء ونجد أن المناظر تظهر صاحب المقبرة في وظائفه المتعددة. ويمتاز عن النقش في هذا العهد بليونة الأشكال والعناية بتمثيل الملابس بذات الطيات وتمثيل الشعور المستعارة والحلى الدقيقة.

أما العصر الأخير من الأسرة الثامنة عشرة أي ابتداء من أمنحتب الثالث إلى عصر آتي يمتاز بأن الفنان قد استطاع تقريب الأفراد لبعضهم وخلط بعضهم ببعض فأصبحنا لا نرى كل فرد قائماً بنفسه.

أما في عصر الأسرة التاسعة عشرة فأصبحت المناظر الخاصة بالدنيا الثانية تملأ معظم مساحات جدران المقبرة وقلت المناظر الخاصة بالحياة الاجتماعية، وهذا الاتجاه الجديد جعل الفن يضمحل نتيجة للقيود التي تفرضها التقاليد الدينية على الصورة.

ويمتاز هذا العصر أيضا بالصور الكثيرة للمواقع الحربية ومناظر الصيد على جدران المعابد ويلاحظ في صور مقابر الأسرة ١٩ عناية ملحوظة بتمثيل الملابس ومع كل تعتبر الأسرتين ١٩، ٢٠ أقل جمالا وروعة من صور مقابر الأسرة ١٨.

الفصل الخامس

ثورة إخناتون الدينية

أسباب ثورة إخناتون الدينية مجهولة، ولكن يمكن القول بأن ديانة آمون كانت ديانة مصرية بحتة لم تفهمها المستعمرات الآسيوية، وقد مهدت انتصارات الفراعنة وهيأت الأذهان لاتجاه جديد في الدين يضع إلها عاما مكان الآلهة المحلية في مصر والبلاد الأخرى.

وديانة آمون ما هي إلا تطور لعبادة الشمس، فإن رع إله الشمس كان يعبد ويمجد تحت عدة أسماء وصور في الأرض كلها ،وعلى ذلك فإن إخناتون لم يستحدث فكرة جديدة ولم يخرج بدين جديد غريب على الشعب.

ويمكن القول بأنه أيضا ربما كان لازدياد نفوذ كهنة آمون وتدخلهم في شئون الدولة تدخلاً كبيراً بعد أن كان نفوذهم في أول الأمر محدوداً ،ما جعل إخناتون يتعصب لعقيدة جديدة ويضطهد الآلهة الأخرى. وأخذ إخناتون يعمل على محاربة آمون فقد رأى أن ينقص من قيمة طيبة مركز عبادة آمون. وذلك بأن يهجر تلك المدينة فتقل بذلك قيمة المها ويصبح الها محليا ولذلك تبنى مدن أخت آتون (تل العمارنة) وانتقل إليها لأنه وجد أن طيبة لا تصلح للمعتقد الجديد ،لأن جوها كان مشبعا بأفكار لا تسمح بتمييز المعتقد الجديد وكذلك مؤامرات الكهنة ولذلك

تمادى إخناتون في اضطهاد آمون لدرجة كبيرة فقام بإغلاق معابد آمون وتحريم عبادته ومحو اسمه.

لقد أعلن إخناتون الحرب على آلهة مصر جميعا وبلغ تعصبه حدا دفعه إلى أن أصبح لا يطيق ذكر كلمة آلهة، فأمر بمحوها حينما ظهرت، ورأى أتباع الدين الجديد أن آتون هو خالق الأشياء، ولا يمكن قبول أي إله آخر إلى جانبه كما أن في محو هذه الآلهة تعظيم لأتون وتطورت ديانة آتون فأصبح الاعتقاد السائد هو إله واحد.

وكانت العقيدة الجديدة تصور قرص الشمس ناشرا أشعته على الموجودات وينتهي كل شعاع منها بيد توزع الحياة والقوة على الملك وعلى المخلوقات. وكانت النظرية الشعبية لهذه القوة كما هي مشروحة في الأنشودة الخاصة بأتون أن الشمس منبع الحياة والحركة وأن كل بلد وكل قوم يدين بوجوده لها.

أثر ثورة إخناتون في الفن

لم تكن الأتونية وحدها هي الحالقة لفن العمارنة، فقد طرأ تغيير على روح الفن المصري منذ عصر حتشبسوت وتحوتمس الثالث، إذ تغير الوقار والعنف والقوة التي تميز انتاج الدولة الوسطى واخذ الانتاج برق وتبدو فيه الرشاقة والليونة والجاذبية.

حمل أمنحتب الرابع (إخناتون) لواء الدين الجديد وحمل أيضا لواء الاتجاه. الجديد في الفن، ولقد كان الدين الجديد محاولة قوية للتخلص من عبء التقاليد القديمة واستبدالها بمعتقدات بسيطة واضحة. وكذلك

كان الاتجاه الجديد في الفن، فقد كان يهدف إلى تمثيل الأشياء على طبيعتها وكان إخناتون نفسه يميل بطبيعته إلى التحرر من العادات والقواعد المفروضة ويشيد بحبه للحقيقة وكان يرى الحق والصدق في أن تبدو الأشياء على طبيعتها ويكره الكذب والخداع.

وفي الواقع هناك ارتباط وثيق بين الدعوة الدينية الجديدة وبين الأسلوب الجديد في الفن ولقد سمح إخناتون لفنانيه لتمثيله على طبيعته توخيا للحقيقة الصريحة وهذا يتفق مع ما كان يصف به نفسه من أنه يعيش على الحق وما يدل على ما كان له من أثر في الاتجاه الجديد للفن.

ويظهر الاتجاه الجديد للفن ،بصفة خاصة، في فن النحت فقد وجدت تماثيل الإخناتون تمثله بشكل يخالف الشكل الرسمي المثالي الذي كان سائدا في الفن القديم للتماثيل الملكية فالرأس غير جميلة تبدو فيها تجاعيد الوجه والذقن متدلى وتستقر الرأس على رقبة نحيفة طويلة أما الصدر فيزيل على نقيض البطن الضخمة المنتفخة والذراعان والساقان هزيلتان فهنا تظهر مغالاة المثال في ابراز مطابقتها للأصل.

ويلاحظ تمثيل الرجال والنساء على السواء في حرية مطلقة في الأوضاع غريبة تماماً عن الفن القديم فنحن لا نجد الصورة القديمة التقليدية للتمثال بالرجل اليسرى متقدمة والذراعان متدليان إحدى اليدين مضموم بل نرى قوما جالسين او واقفين أو متحركين او يطلون من شرفة ولعل أجمل ما يمثل الحرية في هذه المناظر صورة فريدة ظهر فيها إخناتون ونفرتيتى معا والملك واقفا متكأ على عصاه التي يرتكز عليها

إبطه والرياح تعبث بأطراف ردائه والملكة أمامه تمسك في يسراها بباقة من اللوتس المتفتح و في يمناها باقة من البراعم تقربها من أنف زوجها والنسيم يعبث بثوبها الكتاني. وليس من شيء من مظاهر الملكية سوى أصل الملكي على لباس الرأس لإخناتون وفوق جبهتها.

وعلى ذلك ففن العمارنة يرتكز على الواقعية والقوة فيما يتصل بتمثيل الصور الانسانية.

كان هذا جديداً على الفن المصري ولم يسبق أن مثل فرعون على هذه الصورة مما ينم عن خروج عن التقاليد المألوفة بل ثورة عليها.

أثر ثورة إخناتون في الادب

هناك أناشيد حماسية في مدح آمون وتعد من أجمل ما بقي لدينا من الأدب المصري القديم (عبارة عن أنشودتين) وهذه الأناشيد تتضمن مادة المعتقد وقد وجدت على جدران بعض مقابر تل العمارنة وهذه الأناشيد فيها تسبيح الأتون بصفته الإله الواحد خالق كل الحياة ومنظم العالم وحافظ الكون ومطلعها "جميل نورك على أفق السماء، أنت يا من هو الشمس الحية التي وجدت قبل كل شيء. حينما تشرق على الأفق الشرقي تملا كل الأرض بجمالك" أنت جميل وعظم وساطع ومشرق على كل الأرض .. "أشعتك تكتنف العالم كله وكل ما هو من صنعك".

ثم يأتي بعد ذلك كيف أن الناس حينما تختفي الشمس وتنزل تحت الأفق الغربي يغشاها النعاس وأن الحيوان المفترس والحشرات المؤذية كالثعابين تخرج من مخابئها.

وحينما تكون الأرض مضيئة عند ما تشرق أنت على الافق وترسل أشعتك فعندئذ يشمل السرور العالم ويستيقظ الناس ويقفون على أرجلهم لأنك أيقظتهم.

وأتون أيضاً "هو الذي ينفث ريح الحياة في الفرخ حينما يخرج من قشر البيضة .." وما أكثر الأشياء التي خلقتها بإرادتك خلقت الارض والإنسان والحيوان وكل المخلوقات الصغيرة وكل ما يمشي على رجليه أو يطير بجناحيه".

"أنت الإله الأحد أنت تعي في مظهرك على شكل قرص الشمس الحي انت تشرق وترسل اشعتك فالمدن والقرى والأنهار والإبصار تنظر إليك حينها تشرق على الأرض.

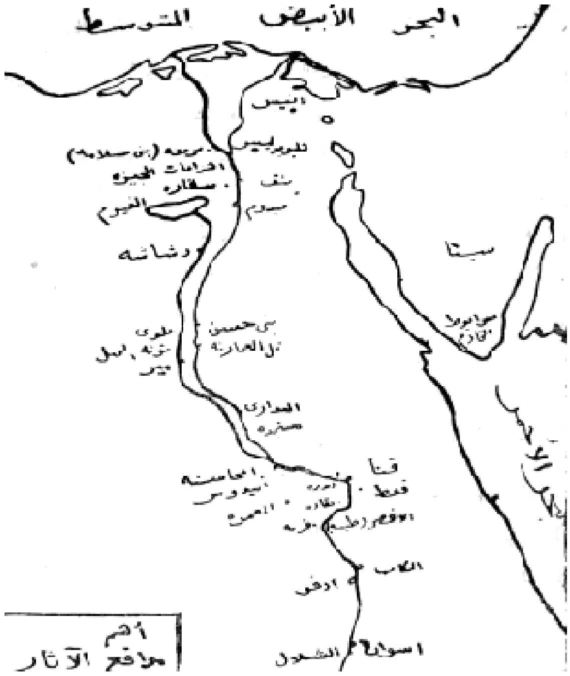
استمرار الحضارة بالرغم من توالى الدول على مصر

استمرار الحضارة المصرية زاهرة – رغم دخول الليبيين والآشوريين والنوبيين والفرس مصر– بل لقد تأثرت هذه الشعوب بالطباع المصرية والعادات والتقاليد المصرية، وبالرغم من احتفاظ الحكام الليبيين بأسمائهم الأصلية فإنهم حافظوا على الألقاب والعادات الفرعونية التي ألفها المصريون، وعبد الليبيون المعبودات المصرية وقدموا لها القرابين المصريين.

أما عن النوبة فقد اتخذت بلاد النوبة الطابع المصري فشيد بكل مدينة معبد مصري عظيم وعبدت المعبودات المصرية في عهد رمسيس الثاني، والمعروف انه في القرن الثامن قبل الميلاد ظهرت في أفق التاريخ بالنوبة مملكة كاملة عاصمتها نبتة ،والتي كانت محطة تجارية عظيمة على

الطريق بين مصر والسودان، ويلاحظ أن المملكة النوبية المذكورة كانت صورة طبق الأصل لأمارة آمون الطيبية وكان آمون هو معبود هذه المملكة الرسمي. ومما يذكر أن ملك أثيوبيا اتخذ لنفسه جميع الألقاب الفرعونية كلقب سيد القطرين مع أنه لم يحكم مصر. وشيد ملوك اثيوبيا معابدهم على الطراز المصري وزينوها بالرسوم المصرية والنقوش الهروغليفية وقدموا فيها قرابين كما فعل المصريون وزخرفوا جدران المعابد بالدعوات، فكانت هذه المملكة مصبوغة بالصبغة الطيبية.

أما في العصر الفارسي فقد ازدهر الفن في عهد تخت نب اف (نقطانب الأول) من الاسرة ٣٠ (٣٧٨ – ٣٤١ ق م) وبدأت المعابد تنعم بنصيبها من الشراء وامنها ونرى اسم نقطانب يتردد مراراً على الآثار وعلى منشئات جديدة في فيلة والكرنك.


البحر الأبيض المتوسط
سينا
قنا
أهم
مواقع الآثار


البحر الأسود
القوقاز
جبال أرمينيا
حاتي
البحر الأبيض المتوسط
فينقيا
ميتاني
عيلام
سومر
برسوبوليس
الشرق الأدنى القديم

الباب السادس

الفصل الاول

الهلال الخصيب

موقعه – يمتد من الخليج الفارسي حتى أعالي نهر دجلة، ثم ينحدر إلى الغرب فتصل بنهر الفرات، ثم ينحي جنوبا في سوريا وفلسطين حتى شبه جزيرة سينا فهو بذلك قوسا يشبه الهلال.

وقوع مواطن الحضارات على جانبيه

يوجد بهذه المنطقة التي تكون الهلال الخصيب سهول خصية قامت بها عدة حضارات كان لها شأنها في العصور القديمة، ولقد كانت هذه المنطقة بيئة صالحة للإقامة والاستقرار والحياة الرغدة وتمتاز بملامة الجو ووفرة الماء والزراعة. وأهم الحضارات التي قامت في منطقة الهلال الخصيب الحضارة البابلية وموطنها الحوض الأدنى لدجلة والفرات وكذلك الحضارات الآشورية وتوجد في الشمال من الحضارة البابلية، وحضارة العبرانيين في فلسطين، وحضارة الآراميين في سوريا والحضارة الفينيقية على ساحل البحر الابيض والسفوح الغربية لجبال لبنان

تعرض الحضارات للغزو الخارجي – كانت هذه الحضارات معرضة للغزو من الجهات الآتية:

١- البحر، وكان أقل خطورة لعدم ارتياد البحار في تلك الأيام والتوغل فيها ولعدم تقدم بناء السفن.

٢ – الصحراء.

٣- الجبال المحيطة بهذه المنطقة، ولقد كانت هذه المناطق الجبلية هي المكان الذي تتجه منه الشعوب الاندواروبية (الآرية) إلى منطقة الهلال الخصيب التغير المناخ في موطنهم الأصلي (شرق بحر قزوين)، أو لتفشي المجاعة والقحط عندهم، أو للنزاع بينهم، أو لكثرتهم وكثرة نسلهم وتزاحمهم مما دعاهم إلى الرحيل إلى مناطق أخرى يطمعون في خيراتها.

هجرات الشعوب:

كان الشرق الأدنى (الجزء الجنوبي الغربي من آسيا) يحوي شعوباً لعبت دوراً كبيراً في حضارات العالم أجمع، وليس من شك في أن المنطقة الواقعة جنوبي سلسلة جبال طوروس كانت مأهولة بشعوب سامية سكنت سوريا وبلاد ما بين النهرين وصحراء بلاد العرب. ويجمع العلماء على أن الجنس السامي يرجع إلى شبه جزيرة العرب، ثم نزحوا إلى المناطق الشمالية وسكنوها وأصبحت حدوده الطبيعية تنتهي شمالا عند جبال طوروس. ويلاحظ أن الساميين قد غزوا الهلال الخصيب من جنوبه.

أثر الموقع في الاتصال بين شرق آسيا والبحر الابيض:

كان لموقع هذه الحضارات أثر كبير في اتصال شرق آسيا والبحر المتوسط فقد كانت هناك صلات تجارية وحضارية بين شعوب الشرق

القديم، وكانت منطقة بلاد ما بين النهرين ومصر مراكز هامة للتجارة، فكان التجار يتجهون بضائعهم إلى هذه المناطق لبيعها وشراء منتجات تلك البلاد، فينقلون معهم بذلك الثقافات المختلفة أي ثقافات الأمم التي يتعاملون معها.

عوامل قيام الحضارات:

لقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في أول الكتاب.

قصر عمر هذه الحضارات:

كانت هذه الحضارات قصيرة العمر للعوامل الاتية:

١- تعرضها للغزو الخارجي فكان ذلك سببة في القضاء على الحضارة فيها.

٢- النزاع بين الشعوب التي تسكن هذه المناطق كما حدث بين بابل و آشور مثلاً.

أهم الحضارات

هجرة الأقوام إلى الهلال الخصيب:

١- في عصر مبكر حدثت هجرات من الشعوب السامية وسكان الأراضي الجبلية واتجهوا إلى الهلال الخصيب. ومن بين هذه الشعوب البابليين والآشوريين والكنعانيين والآراميين والفينيقيين. ويجمع العلماء على أن الجنس السامي يرجع إلى شبه جزيرة العرب ثم نزحوا إلى المناطق الشمالية وسكنوها وأصبحت حدوده الطبيعية تنتهي شمالا عند جبال طورال (طوروس).

حضارة السومير

يمكن القول إن الشعب الذي سكن منطقة بلاد ما بين النهرين الجنوبية هم الشعب الوحيد الذي يمكن أن نرجع تاريخه إلى عصر يعادل عصر فجر التاريخ بمصر. هذا الشعب هو شعب الشومير (السومير) الذي عاش في الدلتا التي تكونت شمال خليج فارس وساعد على تكوينها انحسار مياه البحر بتراكم الغرين الذي أرسيته مياه الدجلة والفرات. والسوميريون لا يعرف جنسهم الأصلي على وجه التحديد، وهم يسمون السوميريين ،لأن المنطقة التي كانت لهم السيادة فيها من بلاد ما بين النهرين كانت تسمى سومير.

المساكن: اتخذ انسان الشومير أول أمره أكواخاً عالية لسكناه صنعت من الغاب، ثم أصبحت مساكنه مصنوعة من اللبن إذ كان اللبن هو مادة البناء في كل العالم القديم. وكانت المنازل مستطيلة وكل منزل له فناء في الجانب الشمالي وفي الجانب الجنوبي للفناء توجد حجرة رئيسية تؤدي إلى عدة حجرات أخرى.

المعابد: كان المعبد في المدينة هو المركز الرئيسي فيها ويقوم في وسطها وتحيط به الأسوار الضخمة. وفي داخل تلك الأسوار توجد أماكن العبادة ومخازن المعبد والمكاتب يشرف عليها جميعا الكهنة ويعاونهم الكتبة الذين كانوا يرعون أملاك المعبد. وكان برج المعبد يعلو فوق كل المباني، وكان شكله على وجه التقريب مثل المكعب ولكن يقل عرضه كلما ارتفع، وحول هذا البرج ثلاثة مدرجات من سلالم ضخمة مبنية حول

الجدران وتصل بالزائر إلى الباب في منتصف البرج. وفي أعلى البرج معبد مربع الشكل فيه بهو لا سقف له، وخلف البهو مكان مقدس. ومن أهم المعابد ذات البرج تلك التي قامت في مدينة نيبور للإله إنليل.

وعلى أي حال كانت المعابد أيضا بمثابة مكتبات وجامعات لأنه كانت تحفظ فيها السجلات، وكان الكهنة هم الرجال المتعلمون.

وقد كان يقوم معبد آخر إلى جوار المعبد ذي البرج وكان بسيطة في نظامه إذ لم يحتو إلا على بهو يليه الهيكل، وفي الهيكل توضع القرابين من الحبوب والبلح والتين والعسل وغير ذلك على موائد القرابين ويكرس جزء منها أمام تمثال الإله.

وقد كان لكل مدينة إلهها الذي يقوم بحمايتها.

المقابر: عثر على مقابر الملوك أور يختلف عمقها ما بين ٥، ١٠ متر تحت مستوى سطح الأرض، وتتكون المقبرة من بر عميقة ينزل اليها منحدر ويبني في قاعها حجرة الدفن من الحجر أو اللبن يغطيها قبو أو قبة، وهي تختلف ابن حجره إلى عدة حجرات. وتوضع الجثة على سرير وحولها التقدمات وجثث اثنين أو ثلاث من أتباع الملك الذين يحضرون الجنازة ويقتلون فيها وتقفل المقبرة، ثم يدفن عدد من أتباع الملك في خارج المقبرة بعد قتلهم. وقد كشف في هذه المقابر على أثاث جنازي عظيم.

مقابر الأفراد: عبارة عن حفرة مربعة تقريبا يوضح المتوفي في قاعها على شكل مقرفص وحوله بعض الأواني الفخارية، وتوضع الجثة في تابوت من

الفخار والتقدمات حولها على حصير ويغطيها حصير آخر ثم يردم الكل.

عادات الدفن:- كان الموتى يدفنون تحت أرضيه هو المنزل الذي يعيشون فيه أو تحت إحدى الحجرات أي أن الموتى كانوا يدفنون في المدينة.

وقد كان السومريون يعتقدون أن الموتى يعيشون في مكان مظلم كئيب تحت الأرض، يذهب اليه الناس جميعا لا فرق بين صالح ومجرم. وكانوا يعتقدون أنه إذا مات إنسان فإنه سيحتاج في حياته الثانية إلى أهل بيته.

صناعة المعادن: عرف السوميريون صناعة المعادن وعرفوا كيف يطرقون النحاس وعرفوا طريقة صبه. وقد صنعوا من النحاس الأحمر اسلحة وآلات وأدوات للزينة.

الزراعة والتجارة: تعتبر الزراعة وتربية الماشية من أهم مصادر الثروة في سومير، ولقد كان السومريون يزرعون الشعير والقمح الذين كانا من الحبوب الرئيسية في آسيا الغربية كما كان في مصر، واهتم السومريون بتربية الماشية والأغنام والتي لعبت دورا هاما في حياة السوميريين. وقد كانت الثيران هي التي تستعمل لجر المحاريث، كما كانت الحمير تستعمل لجر العربات. ولم يكن شعب السومير معتمدا كل الاعتماد على الزراعة، بل اتخذ من التجارة مهنة تدر عليه الخير، فنشطت تجارة السومريين مع غيرهم من أمم آسيا الغربية وكانت سلعهم التي حملوها إلى تلك البلاد عبارة عن الأدوات المصنوعة من المعدن، وبعض الحاصلات كالبلح والحبوب وأثبتت الأبحاث أن هذه التجارة وصلت

غربا حتى البحر الأبيض المتوسط وشرقا إلى مصب نهر السند. وقد كانوا يقومون بتبادل السلع والمواد التجارية بين أعالي الفرات ومصر وبلاد سوريا وبلاد الأناضول.

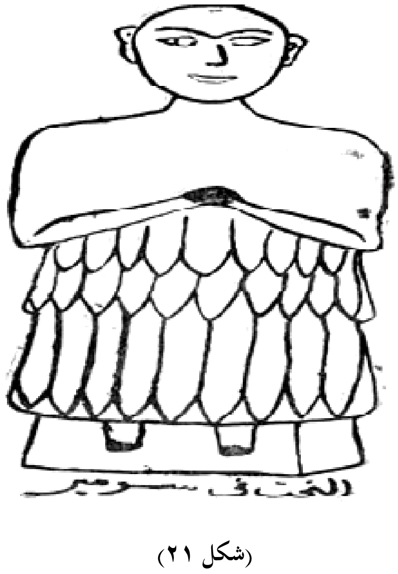
الكتابة: يطلق على الكتابة عند السوميريين اسم الكتابة المسمارية نظراً لأنها كانت تتكون من علامات مركبة من خطوط يشبه كل منها المسمار. ولقد كان السومريون يكتبون على الطين الطري وينقشون عليه ما يريدون نقشه بسن آلة حادة، فاستطاع كتابهم بفضل هذه المادة اللينة أن يحتفظوا بالسجلات ويدونوا العقود ويكتبوا الوثائق الرسمية ويسجلوا الممتلكات والأحكام القضائية وغير ذلك. وكان الكاتب إذا أتم ما يريد كتابته جفف اللوح الطيني في النار أو عرضه لحرارة الشمس. والكتابة السومرية تقرأ من اليمين إلى اليسار، كما إنها تحوي عدد كبير من العلامات وكل علامة تمثل مقطعاً أو كلمة.

الأختام: كانت اسطوانية ومن الرخام أو الحجر الجيري أو الصدف. وهناك اختام على شكل زراير (مستديرة) وكانت المناظر التي على الأختام عبارة عن أشكال هندسية أو زهور، أو مناظر آلهة تخضع حيوانات مفترسة. وكان يستخدم المثقاب في حفر الأختام.

الأواني الفخارية: كانت عبارة عن آنية ذات أيدي عالية من فوق فوهتها، أو آنية ذات فوهه بارزه قد تكون تقليد لأنية معدنية. وهناك نوع من الأواني الخاصة بالطقوس الدينية وتمتاز بالزخرفة المنحوتة على جانبيها وهي على شكل حيوانات.

النحت: من الحجر والمثال مثل الشخص عادة واقفا ويداه على صدره.

وحجم التماثيل صغيرة وتمتاز بالرأس الخالية من الشعر والأنف الكبير المقوس والأعين الواسعة المحفورة لتطعم مواد مختلفة والشكل العام للعين مثلث، والأذن كبيرة. أما العنق فقصير، والجزء العلوي للجسم غليظ، ولا تظهر العضلات في الذراعين أو الكتفين. ويتجلى ضعف المثال في اخراج قاعدة التمثال حيث يترك مؤخرة القاعدة على شكل كتلة من الحجر، وينحت في المقدمة رجلين قصيرين. والتمثال السوم. يري خال من الرشاقة والتهذيب (انظر شكل ٢١). وعرف فنانو السومير النحت الغائر على الصدف، ونجحوا إلى حد كبير في إخراج رسوم لحيوانات أو أشخاص على الحجر. ومن المناظر التي كانت تمثل مناظر التقديمات للآلهة والمناظر الزراعية.



(شكل ٢١)

الموازين: كانت الوحدة الأساسية في الموازين عند السوميريين هي الـ "ميناء" وتنقسم إلى ستين "شاقل" وكل ستين "مينا"، تزن "تالنت"، وكانت الـ "ميناء" تعادل رطلا من أوزاننا الحالية.

غارات الساميين على سومىر

ظهرت على الحافة الغربية لهذا القطر قبائل رحل من شعوب تتكلم السامية هؤلاء الساميون بدء ينفذون إلى الاقليم المعروف باسم اكاد وأخذوا يستوطنون هذا الاقليم ويستقرون فيه وينشرون فيه حضارتهم السامية.

وقد عرف هؤلاء باسم الأكاديين وقد دار قتال بين السوميريين وبين الأكاديين وكانت الغلبة للساميين الأكاديين واندمجوا في الحضارة السوميريه. وفي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد، ظهر في اقليم "أكاد" زعيم سامي اسمه "سارجون"، وكان بارعاً في فنون الحرب، وتمكن من تشتيت السوميرين وأن يقضى عليهم وأن يأخذ السلطة لنفسه. ودانت له دويلات المدن السومرية حتى الخليج الفارسي. ومد نفوذه وسلطانه إلى ما وراء الخليج الفارسي شرقا عند عيلام، وتمكن من الوصول إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط غربا. ولقد كان سارجون أول قائد سامي عظيم في التاريخ. وتسمى امبراطوريته باسم سومير أكاد (الامبراطورية السومرية الأكادية). وبالرغم من أن الساميين قد غزوا المدن السومرية وفتحوها، فقد كانت المدنية السومرية هي الغالبة على ثقافة الساميين البسيطة. وتعلم الاكاديون الكتابة المسمارية واستعملوها في كتابة لغته السامية وكان ذلك لأول مرة في التاريخ تدون لهجة سامية

بواسطة حروف كتبت باللغة السومرية المسمارية. واستخدم الاكاديون أيضا التقويم السومري، والموازين والمقاييس السومرية.

كذلك أخذوا عن السومير بين فنون الحرب وعمل القبعات الحربية من النحاس وقد تعلم الاكاديون كذلك فن النحت وفاقوا معلميهم السومريين.

واقد دب الضعف في سكان هذه المنطقة من الساميين بعد أن استقروا في المدن وهجروا حياة التحرك المستمر فكان ذلك فرصة لسكان بلاد السومير، فاستعادوا بنشاطهم السيطرة على الأقاليم الجنوبية وأصبح المدينة أور الزعامة على غيرها، كما أصبح هناك نفوذ للسكان الساميين الذين مضى عليهم عدة قرون في تلك المدن. ويطلق المؤرخون على هذه الحركة التي اندمج فيها أمة من السوميريين والأكاديين اسم دولة سومير وأكاد. ولقد تمكنت هذه الدولة من أن تحيا قرونا ثلاثة.

لم يكد يبدأ الألف الثاني ق.م حتى سقطت مملكة سومير وأكاد المتحدتين، ولم تتولى المدن السومرية القديمة الزعامة مرة أخرى. وهذا السقوط لا يرجع إلى الحروب بين دويلات المدن فقط، ولكن يرجع أيضا إلى الغزو الأجنبي من الشرق والغرب في وقت واحد، ففي الشرق احتل العيلاميون المدن السومرية، وفي الغرب جاء قوم آخرون من الساميين، وهم "الاموريون"، وبدأوا في غزو بلاد أكاد.

وبين هاتين الغزو تين أخذت القوة السومرية الاكادية تنهار. وقداد الأموريون مدينة بابل والتي كانت إلى هذا العهد قرية على نهر الفرات،

وجعل الأموريون من هذه المدينة مركزاً هاما للقوة والحضارة وأطلق اسمها على سهل شعار القديم والذي سمي منذ ذلك الوقت باسم "بلاد بابل".

ولم يستطع الملوك الأموريون الأوائل الذين حكموا في بابل، الاستعلاء على كل سومير وأكاد مرة واحدة نظرا لاستمرار مقاومة العيلاميين مدة طويلة، ولم يحرزوا نصراً حاسماً عليهم. وبعد حوالي قرن من هذه الحروب تولى العرش ملك يسمي وحامورابى، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٤٨ ق.م حيث حارب العلاميين بقوة حوإلى ثلاثين سنة قبل أن يتمكن من قهرهم إلى الجبال الشرقية التي وفدوا منها. وبعد ذلك كرس حاموراب نفسه للأعمال السلمية فكان عظما مثل سارجون. وقد انتعشت البلاد في هده انتعاشا لم تعرفه من قبل ..

قوانين حامورابي:

جمع حامورابي القوانين السومرية القديمة وعمل على تحسينها وتنظيمها وأضاف قوانين جديدة. ولقد كتبت هذه القوانين لا بالسوميريه ،ولكن بالسامية التي كان يتكلم بها الأكاديون والأموريون. ولقد نقشت هذه القوانين على لوحة خجرية، ووضعت هذه القوانين في معبد الاله مردوك العظيم في مدينة بابل، ولقد وجدت نسخ من هذه القوانين على الطين، وكانت تستعمل في المحاكم المحلية. وتتحدث هذه القوانين عن العدالة بالنسبة للأرملة واليتم والفقير. وتعتمد القوانين على المثل القائل "عين بعين وسن بسن"، ومثال ذلك أنه عندما ينهار منزل ويقتل ابن رب البيت، فعندئذ يعاقب الشخص الذي بني البيت بفقد ابنه، فيحكم على هذا الابن البريء بالموت.

وتنص القوانين على أن الزواج علاقة تتطلب اتفاقاً قانونياً بين الرجل وزوجته.

وقد كان مركز المرأة عظيما في بابل كما كان عليه الحال في مصر.

الفصل الثاني

الآشوريون

موقع آشور: تقع آشور في أعالي نهر الدجلة تقريبا، وهي شمال بابل.

الآشوريون وجنسيتهم: لم يكن سكان آشور من الجنس السامي جميعاً بل كان يعيش بينهم أقوام يتكلمون لغات غير سامية جاءت من الغرب. والآشوريون يتكلون لغة سامية قريبة من اللغة التي كان يتكلمها أهل أكاد. ويلاحظ أن الآشوريين قد كتبوا لغتهم بالكتابة المسمارية.

عوامل قيام الحضارة بها:

١- كانت آشور تتمتع بجو أصح من جو بلاد بابل وذلك نظراً لوقوعها في منطقة جبلية مرتفعة.

٢- وجود أودية تمتاز بخصب تربتها. ويلاحظ أن الآشوريين كانوا يشتغلون بالزراعة فزرعوا القمح والشعير، كما كانت قطعان الماشية والضأن تنتشر على جوانب التلال، وقد كانت الحمير هي الحيوانات الأساسية لحمل الاثقال والانتقال من مكان لآخر. واشتغالهم بالزراعة لم يمنعهم من أن ينشئوا بعض الصناعات وأن يشتغلوا بالتجارة أيضاً.

ولقد أثرت بلاد بابل على سكان آشور في فنون النحت والعمارة. ويلاحظ أن أكثر مظاهر الحضارة المبكرة في آشور جاءت اليها من الجنوب.

٣- كان لاشتغال الآشوريين بالتجارة واتصالهم بالشعوب المجاورة أن تدفقت الأموال على تلك الدولة الناشئة.

ويمتاز الآشوريون بشهرتهم الحربية، وأضافوا العربة والحصان إلى جيشهم الذي أصبح من أكبر القوى العسكرية التي رآها العالم القديم، وكانت آشور تعتمد على الجيش، وكان في استطاعتها أن تكيف قوتها وتوجها ضد أعدائها. ولقد استعمل الآشورين أول الأمر أدوات من النحاس الأحمر، ثم عملوا أسلحة من البرونز. واستمر استعمال البرونز حتى سنة ١٠٠٠ ق.م وبعد ذلك استعملت الأسلحة الحديدية، وكان استعمال الآشوريين للحديد في الأدوات الحربية عنصرا هاما في نجاحهم في الحروب. وقد كان الجيش الآشوري يتكون من رماة السهام والرجال المجهزين بالحراب كما كان يوجد الفرسان وراكبوا العربات. ولأول مرة في التاريخ استخدم الآشوريون المنجنيق وهو من آلات الحصار.

ولقد كانت مدينه آشور هي العاصمة أول الأمر، وفي عهد سنحريب أصبحت العاصمة نينوى.

اتساع آشور:

في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان الحيثون منافسون خطرون لمصر، ووقف الآشوريون ينظرون إلى الصراع بين هاتين القوتين على امتلاك الطرف الغربي من الهلال الخصيب، ولقد انقلب هذا الصراع إلى معركة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولقد رأى الآشوريون ضعف القوتين نتيجة للنضال بينهما حتى سقطت الامبراطورية الحيثية سنة ١٢٠٠ ق.م ثم تلتها

الامبراطورية المصرية بعد ذلك بنصف قرن. وبعد أن خلا الجو الآشوريين، استمرت آشور مدى ثلاثة قرون ونصف عاجزه عن التوسع نحو الغرب وإخضاع هذه المنطقة اخضاعا تاما بسبب وجود الممالك الأرامية والفينيقية والعبرانية. ولقد اتحدت دمشق (وكانت عاصمة للاراميين) مع الممالك الغربية الأخرى وقاوموا مقاومة يائسة. ولكن عندما سقطت دمشق سنة ٧٣٢ ق.م، خضعت كل البلاد الغربية الأخرى. وأثناء حصار المدينة العبرانية التي تسمى السامرة، توفي الملك الآشوري "شلمنصر الرابع"، وخلفه سارجون الثاني الذي رفع آشور إلى أعلى درجات القوة، ويبدو أنه زود القوات الآشورية لأول مرة بالأسلحة الحديدية. وتوفي سارجون الثاني سنة ٧٠٥ ق.م تاركا ابنه سنحاريب الذي قاد الجيوش الآشورية التي اتجهت نحو الجنوب إلى بيت المقدس فأصرها وكاد يفوز بها لولا حدوث وباء فظيع انتشر بين جنوده فحصد منهم عددا كبيرا، كما أنه وردت إليه أنباء تفيد بحدوث اضطرابات خطيرة في بابل، فأسرع إلى عاصمة ملكه نينوي قبل أن يفوز ببيت المقدس، وبذلك أنقذت مصر من خطر الآشوريين. بقيت بعد ذلك مصر شوكه في جانب الآشوريين.

وقد كانت مصر قادرة على إشعال الثورة بين الشعوب المغلوبة في آسيا الغربية والتي كانت تتوق إلى التحرر. وفكرت آشور في وقف التدخل المصري فوصل اسرحدون (آشور اخى الدين) إلى الحدود المصرية خوالي عام ٦٧٤ ق.م حيث لاقاه "طاهرقة"، بحيش مصري قوي، وتمكن بشجاعته أن يتغلب على الملك الآشوري ويصده عن

مصر. وعاد الملك الآشوري مرة أخرى للهجوم على مصر والتقي مع الجيوش المصرية التي لم تكن قد استعدت، وبذلك استطاع الملك الآشوري أن يتغلب عليها وتقهقر طاهرقه إلى منف فتبعه "اسرحدون"، وبعد ذلك رجع إلى بلاده تاركا حاميه لتشرف على الأمن في البلاد، ولكن المصريين اخذوا يعملون على التخلص من الآشوريين فزحف طاهرقه بجيش صغير إلى الدلتا، ولما علم اسرحدون بذلك أسرع بجيشه إلى مصر ولكنه توفي في الطريق عام ٦٦٨ ق.م وخلفه ابنه آشور بانيبال والذي سقطت مصر في عهده ضحية في أيدي الجيوش الآشورية.

سقوط آشور: -

في عهد سنحاريب كانت هناك قبائل من الصحراء الذين يطلق عليهم اسم الكلدانين، أخذت هذه القبائل تزحف ببطيء حول رأس الخليج الفارسي وكانوا من البدو الساميين وتوغلوا في بابل، وزحف هؤلاء يساعدهم من الشمال شعوب اندواوربيه وهم الميديون والفرس واستطاعوا أن يقضوا على كيان الدولة الآشورية. واستطاع الكلدانيون بزعامة: "نابوبلاسر" والميديون متحدين أن يشنوا هجوماً على نينوى حتى سقطت في ايديهم سنة ٦١٢ ق.م تقريبا.

الفصل الثالث

الكلدانيين

أسس الكلدانيون وهم السادة الجدة لبابل أسسوا امبراطورية واتخذوا مدينة بابل عاصمة لهم وكان ذلك سنة ٦٢٦ ق.م، وكانوا ساميين، ولقد أسس "نابو بلاسر" هذه الدولة الكلدانية.

ومن أعظم الملوك الكلدانيين بختنصر (نبوخذ نصر) سنة ٦٠٤ ق م والذي حكم حوالي ٤٠ سنة حكمها قويا وأصبح واحدا من أكبر الشخصيات في تاريخ الشرق، ولقد اغتاظ من الثورات التي كانت تشجعها مصر في الغرب. ولقد عاقب نبوخذ نصر الممالك الغربية وخاصة المملكة العبرانية واخيرا نقل بعض العبرانيين إلى بابل كأسرى ودمر مدينة أورشليم عاصمتهم سنة ٥٨٦ ق.م. وبالرغم من الحروب فقد وجد لديه من الثروة ووجد لديه متسعة من الوقت، مما جعله يعمل لتجميل بابل فأعاد بناء المعابد الخاصة بالمعبودات البابلية وشيد القصر الامبراطوري ومكاتب الحكومة وعمل حديقة على سطح القصر الإمبراطوري، وحدائق السطح هذه التي عملها في قصره كانت الحدائق المعلقة العجيبة في بابل.

علاقة بابل بمصر:

كانت هناك صلات تجارية بين مصر وبلاد ما بين النهرين. وأخذت مصر عن بابل الاختام الاسطوانية كما أخذت بابل عن مصر نظام التدرج

في البناء ويتضح ذلك في المعابد البابلية التي تقل في حجمها كلما علت. وهناك الات طرب شبيهة بالات الطرب عند المصريين القيثارة والمزمار، وكانت توجد فرق موسيقية.

وكانت هناك رسائل متبادلة بين ملوك بابل وملوك مصر في أواخر الأسرة ١٨ وهذه الرسائل هي ما يطلق عليها رسائل تل العمارنة. في بعض الرسائل نجد أن ملوك بابل يطلبون الزواج بأميرات مصريات، وهناك خطاب لأحد ملوك بابل يطلب فيه من إخناتون أن يرسل له ذهبا.

ولقد كانت مصر محور للتجارة للشرق الأدنى وبحر ايجة.

الحضارة البابلية

الديانة - كانت الآلهة البابلية كثيرة العدد وكان لكل مدينة المها الذي يحميها وكان المقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها و تخلص لها. وقد اقيمت في لارسا المعابد للإله شماش وفي اورك اقيمت المعابد لاشتار وفي أور أقيمت المعابد النار. وأقدم الآلهة كلها هي آنو وهي السماء وشماش وهي الشمس وتار وهو القمر وبعل وهو الأرض. وكانت كل مدينة تعتقد بأن إلهها هو صاحب السلطان. وقد قل عدد الآلهة بعد أن اعتبرت الآلهة الصغرى بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى وعلى هذا أصبح الإله مردوك إله بابل على رأس الآلهة البابلية وكان البابليون يوجهون اليه صلواتهم ودعواتهم. وكذلك أشتار فكانت آلهة الجمال والحب والقوة الخفية التي تعمل على خصب الأرض. ولقد شيد الملوك المعابد للآلهة وأوقفوا عليها مساجات واسعة من الأرض. وبعد الانتصار

في الحرب يخصص جزء من الغنائم وبعض الأسرى إلى المعابد. وكان للبابليين قصص ديني كقصة الخليقة والطوفان.

العلوم - كانت علوم البابليين الرياضية تستند على أساس تقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة واستطاعوا أن يقدروا مساحات الاشكال.ولقد كان البابليون يقدرون الزمن بالساعة المائية والمزولة.

أما في الطب فقد كانت أكثر الأدوية شيوعا هو ما كان مكونا من خليط من العناصر التي تشمئز منها النفس وكانت العناصر المألوفة لديهم هي اللحم النيء ونشارة الخشب الممزوجة بالنبيذ والزيت و مسحوق العظام، كما كان يستخدم اللبن والعسل والزبد وأعشاب عطرة كما أن السحر كان يستخدم أيضا في العلاج بجانب الادوية.

الفلك والتقويم

تقدم علم الفلك وكان لليا بليبيين خبرة قديمة في معرفة المستقبل وحددوا مواضع عدة نجوم وتعتبر سجلات الفلكيين الكلدانيين أول معلومات عظيمة عن الفلك

وهناك فلكي كلداني يسمى نابو ريمانو أستطاع أن يقدر طول السنة: ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٥٠ دقيقة و٤١ ثانية وهذا القياس قد عمل بحوالي ٢٠٠٠ سنة قبل اختراع التلسكوب وهذا أطول بمقدار ٢٦ دقيقة و٥٥ ثانية وقد أخذ الاغريق عن هؤلاء الفلكيين الكلدانيين. ولقد قسم البابليون السنة إلى أثي عشر شهرا قمريا وقسموا الشهر إلى أربعة أسابيع وقسموا اليوم إلى ١٢ ساعة.

العمارة.

كانت المنازل تبني من اللبن ومن النادر أن تكون لها نوافذ، ولم تكن أبواها تفتح على الشوارع بل كانت تفتح على فناء داخلي. ويقال إن منازل الطبقات الراقية كانت مكونة من ثلاث طبقات أو أربع.

أما المعابد فكانت تقام على قواعد عالية صناعية. وكان المعبد عبارة عن بناء ضخم من الطوب ويقام إلى جوار المعبد في أغلب الأحيان برج عال يتكون من طبقات مكتبة الشكل بعضها فوق بعض وتتناقص كلما علت وتحيط بها سلم من الخارج وقد انتشر المعبد البرج انتشاراً كبيراً وكانت الأسوار تزين بدخلات وخرجات. وكان الطوب اللبن يستخدم في البناء. وكانت تقام أسوار ضخمة حول المدن لحمايتها.

وبوجه عام فإن فن العمارة البابلية كان فنا ثقيلا خاليا من الجمال والأناقة.

تأثرها بالحضارات الأخرى

ورثت الحضارة البالية الكثير عن الحضارة السومرية فالعمارة مستمدة من العمارة السومرية كما ورثت الكتابة المسمارية عند السومريين. وورثت أيضا الموازين. ويلاحظ أن قوانين حامورابى مستمدة كما يبدو من قوانين شو ميرية قديمة. كما أنهم عبدوا الآلهة السومرية.

الفصل الربع

العبرانيون

العبرانيون من الجنس السامي ، وهم أصلا من صحراء بلاد العرب وكانوا يتجولون بقطعانهم، وهم عباره عن قبائل نزحت من الصحراء إلى فلسطين واتخذوها وطنا لهم ويبدو أن نزوحهم إلى فلسطين حدث بين سنة ١٤٠٠ وسنة ١٢٠٠ ق. م وقد ذهبت مجموعة منهم إلى مصر حيث كانوا عبيدا في مصر وقاسوا الكثير من العذاب و كانوا مسخرين هناك ولعلهم جاءوا إلى مصر في عهد الهكسوس ويرجع بعض العلماء تاريخ دخوله مصر في عام ١٦٥٠ ق.م وتاريخ خروجهم منها إلى عام ١٢٢٠ ق. م معتمدين في ذلك على ما ورد في التوراة من أن اليهود اقاموا في ارض مصر ٤٣٠ عاما.

ولقد خرج اليهود من مصر تحت زعامة سيدنا موسى وعند دخولهم فلسطين وجدوا هناك الكنعانيين وهم من الساميين، وقد استطاع العبرانيون الاستيلاء على المدن الكنعانية وأخذ العبرانيون الحضارة الكنعانية. وهذا الامتزاج والاختلاط بالكنعانيين أحدث تغييراً في حياة العبرانيين فترك معظم العبرانيين خيامهم وأخذوا يشيدون منازل تشبه منازل الكنعانيين وخلعوا كذلك جلود الأغنام ولبسوا ملابس من الصوف وبعد فترة من الزمن أصبح العبرانيون لايتميزون عن الكنعانيين. وقد حدث نزاع بين العبرانيين والفلسطينيين وهم سكان البحر المتوسط

وكانوا قد هاجروا في ذلك الوقت من جزيرة كريت إلى الجزء الجنوبي الغربي من فلسطين وانتصر العبرانيون عليهم بقيادة داود.

الديانة - كان اليهود أول ظهورهم بدو رحل يعبدون الصخور والجبال ،ولم يتخلوا قط عن عبادة الكبش ذلك أن سيدنا موسى لم يستطع منع قومه من عبادة العجل الذهبي عند اليهود.

أما الإله القومي عند اليهود وهو الإله الاحد والمسمى يهوه فيبدو أنهم أخذوه عن الكنعانيين اذ أنه من بين الاثار التي وجدت في كنعان سنة ١٩٣١ قطع من الخزف ترجع إلى حوإلى ٣٠٠٠ ق.م وعليها اسم كنعاني يسمى (ياه أو ياهو)، ولقد جعل منه العبرانيون إله صارما ذو نزعة حربية، ويدعو إلى الفتح والاستعمار محارب من أجل شعبه، ويقول سيدنا موسى في ذلك (الرب رجل حرب) وعندما نشأت الوحدة السياسية أيام داود وسليمان أصبح يهوه آله اليهود الأوحد، والديانة اليهودية في هذه المرحلة كانت أقرب إلى التوحيد من كل دين آخر قبل عصر الأنبياء إذا استثنينا عبادة الشمس القصيرة الأجل في عهد إخناتون. لقد كانت اليهودية تسمو كثيرا على غيرها من الأديان في ذلك الوقت في عظمتها وفي سلطانها وفيها تنطوي عليه من حماسة ومن أثر في نفوس أهلها.

ومن النادر أن اليهود كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ولم تدر فكرة البعث في أذهان اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ولعلهم أخذوا شيئاً عن المصريين.

الأدب: يتضمن العهد القديم تاريخاً وشعراً فسفر التكوين قصة ممتعة قصت في بساطة ووضوح، وكذلك يوجد به القصص الغرامية مثل قصة شمشون ودليلة.

ويبلغ الأدب الشعري ذروته في المزامير وهي مليئة بالألحان والقوى المحركة للعواطف كما أنها مليئة بالحاسة الحربية. ومن المزامير ما يفيض رحمة وحنانا وما يعد مثلا في الخضوع والتذلل مثل ذلك وأنا تراب عن الانسان مثل العشب أيامه كزهر الحقل، ولقد بلغ هذا النوع من الشعر حد الروعة في تشبيهاته وتصويره وفي قوة تعبيراته ووضوحها.

وهناك أيضا نشيد سليمان، وهذه الكتابات قد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل وقد تكون من وضع جماعة من الشعراء العبرانيين أو قد تكون مستمدة من مصر لأننا نجد العاشقين تخاطب أحدهما الآخر بقوله أخي أو أختي كما كان يفعل المصريون القدماء أما الأمثال ففيها مسحة من الأدب المصري ومن النصائح الفطنة ينبوع الحياة لصاحبها، وتأديب الحمقى حماقة .. الخ.

وعلى العموم يمتاز الأدب بالسمو في الخيال والعمق في التصور الذي وصل إليه شعراء اسرائيل.

تأثرهم بالحضارة المصرية

لم يكن لدي العبرانيين فن خاص بل استعاروه من ب لاد أخرى فالعبارة والخزف وصياغة المعادن اخذوها عن مصر وذلك لتأثرهم بالحضارة المصرية لاسيما وأن بني إسرائيل أقاموا في مصر طويلا إلى أن

خرجوا بزعامة سيدنا موسى كما أن نفوذ مصر كان قوياً في عهد الأسرتين ١٨ و ١٩ عندما كانت مصر مسيطرة على فلسطين ،ولقد تأثروا بالمعتقدات المصرية، ويظهر في الأمثال شيء من الادب المصري، ولقد هجر العبرانيون الكتابة على الألواح الطينية وأخذوا يكتبون على ملفات البردى وهذه الملفات البردية شبيهة بما كان مستعملا عند المصريين .

تعرضهم لغزو الآشوريين والكلدانيين

اتسعت مملكة العبرانيين في عهد الملك سليمان وذلك حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م وأصبحت إسرائيل ملكة عظيمة، ولقد أثقل سليمان العبرانيين بالضرائب فنتج عن ذلك غضب رعاياه. وبعد موته انقسمت الامة العبرانية إلى قسمين القسم الشمالي، ويسمى ملكة اسرائيل والقسم الجنوبي ويسمى ملكة يهوذا ولقد كان لهذا الانقسام أثره في ضعف المملكتين. ولقد أصبحت آشور مصدر خطر يهدد الامة العبرانية. ولقد اجتاحت آشور أولا دمشق واصبحت مملكة اسرائيل معرضة بالغزر الآشوري، واحتل الجيش الآشوري السامرة عاصمة المملكة الشمالية وكان ذلك في سنة ٢٢ ق. م بعد أن عمرت حوالي قرنين من الزمان. ولقد ذكرنا سابقا أن الملك الآشوري سنجريب استطاع أن يصل جنوباً إلى بيت المقدس (أورشليم) وحاصرها وكاد يفوز بها لولا حدوث وباء فظيع انتشر بين جنوده فحصد منهم عددا عظيما وبذلك نجحت أورشليم. وحاصرها وكان العبرانيون يأملون أنه بسقوط آشور ينتهي الظلم الأجنبي، لكننا نجد أن الكلدانيين قد جاءوا بعد الآشوريين للسيطرة على فلسطين ويلاحظ أنه

في سنة ٦٠٧ ق.م أخذ الملك نكاو الثاني ملك مصر يغزو سوريا وفلسطين حتى وصل إلى مقاطعة يهوذا.. وهكذا خضعت سوريا جميعا الملك مصر وقد أرسل ملك بابل ابنه نبوخز نصر على رأس جيش كبير للاستيلاء على ممتلكات مصر في سوريا وفلسطين وهزم نكاو واستولى نبوخز نصر على مملكة يهوذا وأصبحت ولاية تابعة لبابل.

تشتتهم:

عاد نكاو ونشر العصيان في سوريا وفلسطين ضد نبوخز نصر معتمداً في ذلك على ملك أورشليم، وقد قاوم هذا الملك جيش نبوخز نصر ولكن انتصر جيش نبوخز نصر وعاد نبوخز نصر إلى بلاده ومعه عدد كبير من الأسرى اليهود وحدثت حركة عصيان جديدة للخروج على بابل، فعاد نبوخز نصر واستولى على أورشليم ودمرها سنة ٥٨٦ ق.م ونقل عدد كبير من العبرانيين كاسرى إلى بابل وقد ضاق اليهود بالظلم الواقع عليهم فهاجر الكثيرون منهم وتحركوا في جماعات نحو مصر ونشأت بمصر جاليات يهودية ،ومن أشهر الجهات التي استقرت فيها هذه الجاليات الفنتين (أسوان) كما استقر بعض اليهود في تانيس والبعض الآخر في منف وهكذا تشتت اليهود.

عودتهم بعد فتح بابل على يد الفرس:

ظل اليهود في أسرهم وظلوا مشتتين حتى عام ٥٣٩ ق.م عند ما استطاع قورش ملك الفرس أن يتغلب على بابل ففتحها وأباح لليهود أن يعودوا إلى أورشليم وكذلك ما كان باقية في خزائن الدولة البابلية من

الذهب والفضة التي اغتصبها نبوخز نصر، وعاد اليهود إلى وطنهم الأول بعد أن عرفوا الكثير عن حضارة البابليين.

إعادة تنظيم الديانة والحكومة:

بعد عودة اليهود إلى وطنهم أمكنهم بذلك أن يستعيدوا استقلالهم وأن يكونوا حكومة منظمة، إذ أنهم قد تأثروا أثناء أسرهم وتشتيتهم بحضارة الأمم العظمى مثل مصر وبابل. ولم يكن في وسع اليهود بعد عودتهم أن يقيموا لهم دولة حربية ذلك أنه لم يكن لهم من العدد ومن الثروة ما يمكنهم من اقامة هذه الدولة. وشرع الكهنة في وضع قواعد حكم ديني يقوم على المأثور من أقوال الكهنة وتقاليدهم وعلى أوامر الله.

الفصل الخامس

الآراميون في سوريا

الآراميون من الشعوب السامية التي نزحت من شبه جزيرة العرب في هجرات متتابعة إلى الجزء الأوسط من الفرات، وكانوا في الأصل على جانب من البداوة، وقد حاولوا إقامة مالك لهم في سوريا، ومن أقوى المالك الأرامية في سوريا مدينة دمشق.

تأثرهم بالحضارتين المصرية والحيثية.

كان لوجود الأراميين بين ثقافات وحضارات مختلفة مثل حضارة الحيثيين وحضارة المصريين، وحضارة بلاد ما بين النهرين، وحضارة الفينيقيين أثره في أن أصبحوا مركزا لتقابل الحضارات المختلفة. ومن أهمها حضارة الحيثيين وحضارة المصريين، فقد أخذوا عن الحيثيين النظام والمعاهدات والتمسك بالقانون. وقد استخدموا القلم والحبر المصري، كما أنهم كانوا يكتبون على أوراق البردي.

نشاطهم التجاري وتجارتهم مع آشور:

كان للاراميين نشاط تجاري، فقد تاجروا مع الأمم المجاورة وامتدت التجارة الأرامية حتى أصبحت تجارة غرب آسيا مركزه في أيدهم. وقد تاجروا مع آشور، فلقد وجدت بعض الأوزان التي كانوا يستعملونها، في أطلال مدينة نينوى. ولقد ساعدتهم التجارة على

نقل الثقافات بين الأمم التي كانوا يتجرون معها.

الكتابة الأرامية وانتقالها واستخدام موظفين آرامين في آشور:

استعمل الآراميون كتابة ذات حروف أبجدية أخذوها عن الفينيقيين وعملوا على نقلها في آسيا الغربية واحلالها محل العلامات المسمارية، ولذا فقد انتشرت الأبجدية الفينيقية الأرامية في آسيا الغربية، وانتقلت كذلك إلى حدود الهند. ومن الحقائق الهامة أن اللغة الآرامية انتشرت في المدن الآشورية القديمة حتى أصبح المتكلمون بها أكثر عددا ممن يتكلمون الآشورية نفسها. ولقد كانت هذه اللغة أولا واسطة التبادل التجاري ثم أصبحت وسيلة لنقل الآداب، وفي آخر الأمر أصبحت هي اللغة السائدة في الهلال الخصيب وحلت محل اللغة العبرية في فلسطين، وأصبحت اللغة التي يتكلمها السيد المسيح. ولقد أصبح شائعة وجود موظفين أرامين في الوظائف. ويرجع سبب هذه اللغة إلى سهولتها في التعبير واستخدامها للحروف الأبجدية.

الفينيقيون

الفينيقيون ساميون كنعانيون، ويقال أنهم قدموا من شواطئ الخليج الفارسي ووصلوا من شواطئ البحر الأبيض المتوسط حيث استقروا في الجزء المعروف بفينيقيا وهي على السفوح الغربية لجبال لبنان وقد استوطنوا منطقتهم هذه حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م ثم اختلطوا بعد ذلك بأجناس مختلفة كالمصريين الذين كانوا يترددون على بلادهم لإحضار الأخشاب والحيثيين الذين كانوا يسكنون في الجزء الشمالي من بلاد سوريا،

وكالعموريين الذين استوطنوا المنطقة الواقعة بين أعالي الفرات وبلاد الحيثيين واختلطوا بسكان جزائر بحر الأرخبيل الذين كانوا يترددون على هذه المنطقة فأثروا في حضارة أهلهم. وبعض العلماء يرجعون كلمة فينيقيا إلى كلمة فرينوس الافريقية ، والتي معناها أحمر وذلك نسبة إلى نوع من الحيوانات المائية الحوراء التي كان يستعملها الفينيقيون بكثرة في الصباغة.

تكوين المدن الفينيقية:

أخذت بعض المدن الفينيقية تظهر وتزدهر نتيجة للتجارة وأصبحت هذه المدن من أغنى مدن العالم وأقواها ومن هذه المدن مدينة بيلوس (جوبيل) وكانت من أهم المدن وأقدمها مدينة صيد التي أصبحت مزدهرة، وأورواد. أما صور فكانت أعظم المدن الفينيقية، وكانت مركزا تجاريا يأتي اليها التجار من جميع بلاد البحر المتوسط. ولقد كان لكل مدينة حاكم فكانت هذه المدن تحكمها طبقة من التجار الأثرياء اشتهرت بالسياسة الخارجية والمالية ولم تهتم بالتوسع الاقليمي.

خصائص حضارتهم وعلاقتهم بالحضارات القائمة:

كان الفينيقيون من أنشط تجار العالم القديم، ولم يكتف الفينيقيون بنقل التجارة بل كانت لهم مصنوعات من الزجاج والمعادن والحلى وكذلك صناعة النسيج كما أنهم استخدموا نوعا من الحيوانات المائية الحمراء في الصباغة، ولقد استحضر الملك سلميان الصناع من فينيقيا لتشييد مبانيه، كما استخدم البحارة الفينيقيين ولقد كان ملك صور يرسل خشب الأرز إلى سلميان.

والحضارة الفينيقية خليط من حضارات الأمم التي تعاملوا معها. واشتهر الفينيقيون بركوب البحر وبرحلاتهم البحرية فكانوا يسعون وراء الكسب التجاري ونقل التجارة ولقد شق التجار الفينيقيون طريقهم إلى مواني البحر المتوسط وكانت لهم مراكز تجارية في قادس و قرطاجة وسرعان ما تحولت المراكز التجارية هذه إلى مستعمرات كبيرة. وكانت قرطاجة من أكبر المستعمرات الفينيقية وقد وصل الفينيقيون كذلك إلى إسبانيا وفرنسا وبريطانيا.

وقد كان للفينيقيين تجارة برية عظيمة فجلبت قوافلهم حاصلات الهند وآشور والسودان مثل الأحجار الكريمة والذهب وسن الفيل وريش النعام وغير ذلك.

ولقد ربح الفينيقيون كثيرا من هذه التجارة التي شملت معظم أنحاء العالم.

نقل الحضارات:

اشتهر الفينيقيون بالتجارة وبالسعي وراء الكسب التجاري ، وكانوا يعملون على نقل التجارة بين مصر وآشور وبابل وشواطئ البحر المتوسط، علاوة على التجارة فقد كانوا ينقلون حضارات وثقافات البلاد التي يتجرون معها، وكانت فينيقيا خليطا من فنون الامم العظمى القريبة منها وخاصة الفن المصري.

علاقتهم بمصر:

كان المصريون على علاقة وثيقة بالفينيقيين منذ عصر فجر التاريخ، وأكبر دليل على ذلك قصة أوزيريس المعروفة التي تتحدث عن الآلهة

أوزيريس الذي قتله أخوه ست وألقى بجثته في الماء بعد أن وضعها داخل تابوت ذهب فحملها الماء إلى مدينة بيلوس (جوبيل) وهي أقدم مدن فينيقيا. ولقد أثبتت الحفائر التي عملت في منطقة جوبيل أن هناك علاقة بين مصر وفينيقيا ولقد جاء في حجر بلرمو أن الملك سنفرو أرسل سفينة إلى جوبيل لإحضار خشب الأرز، كما جلبت الزيوت والعطور من فينيقيا. ولقد عثر في فينيقيا على أختام تقلد الجعارين المصرية. أما الأختام الأسطوانية فعليها مناظر أشخاص بالملابس المصرية. وعثر على تابوت من الحجر عليه مناظر ها تأثير مصري وعليه زخرفة من زهور اللوتس ويذكر هيرودوت بأن الملك نكاو الثاني قد استخدم بحارة فينيقيين لقيادة أسطوله التجاري.

ولقد كانت هذه البلاد خاضعة لمصر في الأسرة الثامنة عشرة وفي عهد رمسيس الثاني.

الحروف الأبجدية:

يذهب البعض إلى أن الفينيقيين قد أخذوا الحروف الهجائية عن المصريين، وجعلوها مكونة من ٢٢ حرفاً، ويرى البعض الآخر أنهم هم الذين اخترعوها ولقد نقل اليونان الحروف عن الفينيقيين ونقلوها بدورهم إلى أوربا. وهذه الرموز هي بلا جدال أثمن ما ورثته الحضارة عن الأمم القديمة.

الباب السابع

الفصل الأول

الحضارة الفارسية

العنصر الآري:

من المرجح أن موطنهم الأصلي هو السهول الروسية والاسيوية، وقد نزحوا منها وانتشروا شرق بحر قزوين في الأرض التي تحيط بنهر السند وفي أطراف الهضبة الفارسية وتدفقوا على الهند والصين. ولقد كانوا يحبون التنقل والهجرة والصيد وكانوا يصنعون عربات ذات عجلات وعرفوا الزراعة.

الميديون

الميديون من الجنس الأندواوري (الآرى) ويرجح أنهم جاءوا من شواطئ بحر قزوين إلى غرب آسيا وأخذوا يتوغلون نحو الجنوب الغربي شيئا فشيئا حتى وصلوا إلى بلاد فارس فوجدوا النحاس والحديد والرصاص والذهب والفضة. وأخذوا يفلحون ارض السهول وسفوح التلال.

ظهورهم وتكوين مملكتهم:

أنشأ أول ملوكهم المسمى "ديو سپس" عاصمته الأولى في أكباتانا. ولقد قوى الميديون في عهده واشتد ساعدهم وأصبحوا خطراً يهدد

آشور التي كانت تغير على بلاد ميديا مرة بعد الأخرى حتى استطاع سياخار (سياكزارس). أعظم الملوك الميديين أن يحسم النزاع بتدمير نينوى ولقد كان لهذا النصر أثره ، وإذا اجتاحت جيوش الميديون بلاد آسيا الغربية وقد اتسعت ملكة الميديين وأصبحت تشمل آشور وميديا وفارس. ولم تدم هذه المملكة طويلا بعد وفاة سياخار.

انتصار الفرس عليهم:

في حوالي سنة ٥٠٠ ق.م ظهر قورش الفارسي، وحاكم ولاية أنشان الاغرسية واغتصب الملك من استياجس آخر ملك ميدي وقد ابتهج الميديون أنفسهم بقورش وارتضوه ملكا عليهم وأصبحت فارس سيدة ميديا وفي سنة ٥٣٩ ق.م استولى قورش على بابل وأخذت فارس تعد العدة لتكون سيدة الشرق الأدنى كله.

حروب قورش واتساع دولته:

نظم قورش قوات ميديا وفارس الحربية جعل منها جيشا قويا لا يقهر وتحرك الفرس تحت قيادة قورش واستولى على ليديا وبابل ،وقضى على حكم الساميين في غرب آسيا وضم إلى الدولة الفارسية كل البلاد التي كانت من قبل تحت سلطان آشور وبابل وآسيا الصغرى. ويبدو أنه وصل في حملاته إلى ضفاف نهر جيجون شمالاً وإلى الهند شرقاً.

ولقد كان قورش رجلا سياسية فأينما سار في فتوحاته كان يقدم القرابين إلى الآلهة المحلية وكان يعترف بالأديان كلها على السواء.

ولقد قتل فورش فجأة سنة ٥٢٩ ق.م بينما كان يحارب إحدى القبائل التي كانت نازلة على السواحل الجنوبية لبحر قزوين.

خلفاء قروش:

جاء بعد قورش ابنه قمبيز ، فحكم من بعده ولقد أغوته ثروة مصر الطائلة فزحف عليها ليمد حدود الامبراطورية الفارسية إلى نهر النيل وقد كان ذلك سنة ٥٢٥ ق.م ولقد حاول بسمتك الثالث ملك مصر صد الفرس فأرسل الجند المرتزقة وحرس القصر وبحارة الأسطول وقذف بهم جميعا إلى ساحة الوغى ، ولكن جيش العدو كان يفوق رجاله من ناحية التنظيم والمران والتجربة وتقدم قمبيز وتقهقر بسمتك وتحرك قمبيز متجها نحو منف وحاصرها واستولى عليها واستسلم بسمتك. وقد فتح مصر العليا وقاد حملة إلى التوبة ولكنها قاست كثيرا من الأهوال فأدرك قمبيز أنه فشل وعاد إلى مصر بعد أن فقد جزء آمن جيشه .. أما حملته التي ارسلها إلى الصحراء وكان هدفها سيوة فقد لاقت الهلاك والأهوال وقد كان من أثر هاتين الهزيمتين نهب الهياكل والمعابد وسرقة مقابر الملوك وتشويه المباني. وقد جاءت الأنباء إلى قمبيز بتوتر الأحوال في بلاده فعاد إلى بلاده ويقال انه انتحر حوالي عام ٥٢٢ أو ٥٣١ ق.م.

جاء بعد قمبيز دارا الأول، واستطاع أن يقضي على الثورات التي قامت بها البلاد المغلوبة ضد الحكم. واقد زحف دارا بجيوشه إلى جنوب روسيا مجتازا مضيق البسفور وقاد جيوشه مخترقة الأفغانستان واجتاز الكثير من السلاسل الجبلية حتى وصل إلى وادي نهر السند

واستطاع أن يضم بذلك إلى مملكته أقاليم واسعة الرقعة. وقد أرسل حملة إلى بلاد اليونان خوفاً من قيام حلف يهدد سيادة الفرس على غرب آسيا ولقد تمتعت البلاد بالرخاء في عهده ولقد قام دارا بترميم بعض المعابد الآلهة المصرية.

ولقد جاء بعد دارا الأول ملوك ضعاف وفي عهد دارا الثالث وهو آخر ملوك فارس ظهر الاسكندر الأكبر الذي قضى على الدولة الفارسية سنة **٣٣١** ق.م

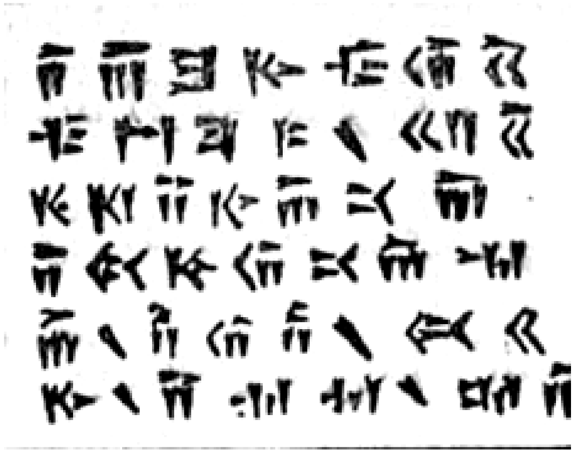
حضارة الفرس وتأثرها بحضارة البلاد التي فتحوها

تأثرت الحضارة الفارسية وأخذت الكثير من حضارات البلاد التي فتحوها فأخذوا من الميديين لغتهم وتعلموا فهم الزراعة والقوانين كما تعلموا فن العمارة من بابل وآشور واخذوا نظام الاعمدة المصفوفة عن مصر ولقد أخذوا تيجان الأعمدة التي على صورة الحيوان أخذوها عن بابل وآشور وكانت أغلب التماثيل من صنع فنانين جيء بهم من آشور وبابل وبلاد اليونان. كما اقتبسوا الثيران المجنحة التي تقوم أبواب القصر من آشور.

الكتيبة الآرامية والكتابة السماوية:

عندما أصبحت اللغة الآرامية هي السائدة في الهلال الخصيب، فقدر أي الموظفون الفرس أنهم مضطرون لتأدية أعمالهم الحكومية باللغة الآرامية وذلك لأنها كانت اللغة العالمية، في جميع الاعمال الخاصة بالتجارة والادارة وقد كان الفرس يستعملون لغتين هما الآرامية والفارسية القديمة واستخدموا الحروف الهجائية الآرامية لكتابة وثائقهم. وقد بسطوا مقاطع

اللغة البابلية فأنقصوها إلى ٣٦ علامة وتبدلت شيئاً فشيئاً من مقاطع إلى حروف حتى صارت حروف هجائية مسمارية. (أنظر شكل ٢٢).



الخط المسماري

(شكل ٢٢)

نظم الحكم وحكومة الولايات

كانت الإمبراطورية مقسمة إلى ولايات ليسهل بذلك أدارتها وجباية الضرائب منها وكان في كل ولاية حاكم يعينه الملك ويبقي في منصبه ما دام حائزا الرضاء البلاط الملكي، وكان الوالي يعزل أحيانا بلا محاكمة.

ولم يكن موظفو الولايات يتناولون رواتبهم من الملك ، بل كانوا يتناولونها من أهل الولاية التي تحكمونها. ولقد كان الوالي يقوم بالإدارة والقضاء وفرض الضرائب، وكان على كل وال أن يبعث إلى الملك في كل عام قدرا معلوما من المال والبضائع ضريبة مقررة على ولايته.

الجيش:

كان الجيش العماد الحقيق السلطان الملك والحكومة وذلك أن الامبراطوريات انما تدوم مادامت محتفظة على قدرتها على الحرب. وكان يفرض على كل رجل صحيح الجسم من الخامسة عشرة والخمسين من عمره أن ينضم إلى القوات العسكرية كلما أعلنت الحرب، وكان الجنود يسيرون إلى الحرب وسط الموسيقى.

الطرق:

أنشأ الفرس طرقا عظيمة تربط خواضر الدولة بعضها ببعض وكان الطريق يخترق اقاليم عامرة بالسكان وكانت هناك طرق تصل فارس بالهند مجتازة ممرات جبال افغانستان. وقد أنشئت هذه الطرق في الأصل لأغراض حربية وحكومية وذلك لتيسير سيطرة الحكومة المركزية واعمالها الادارية ولكنها أفادت ايضا العسكرية وهتاف الجماهير وكانت أهم فرق الجيش فرقة الحرس الملكي المؤلفة من ٢٠٠٠ من الفوارس و٢٠٠٠ من المشاة وكلهم من الاشراف وكانت مهمتهم حراسة الملك. وكان الجيش العامل كله من الفرس واليدين.

أما القوات الحربية فكانت تتألف من فرق تجند من جميع الأمم الخاضعة السلطان الفرس وكانت كل فرقه تتكلم بلغتها وتقاتل بأسلحتها وتتبع أساليبها الحربية الخاصة. وكانت الأسلحة المستعملة القس والسهام والسيوف والحراب والخناجر والرمل والمدى والترس والخوز ومعهم العربات

الأسطول

لم تبلغ الملاحة ما بلغه النقل البري من رقي فلم يكن للفرس اسطول خاص بهم بل كانوا يكتفون باستئجار سفن الفينيقيين أو الاستيلاء عليها لاستخدامها في الأغراض الحربية. في تنشيط التجارة وانتقال العادات والأفكار.

الضرائب

كان على كل وال أن يبعث إلى الملك في كل عام قدرا معلوما من المال والبضائع بمثابة ضريبة مقررة على ولايته ولقد قدر مجموع ما كانت ترسله الولايات كلها في السنة ما يعادل ١٩٠ مليون ريال أمريكي تقريباً علاوة على ذلك

فكان على كل ولاية أن تمد الملك بحاجته من السلع والمون من خلال وضأن وخيول .. الخ

الديانة

كان أهورامزدا هو الإله الأعظم الله النور وتروى له القصص الفارسية أن نبياً عظيماً أطلق عليه اسم زردشت وهذا التي قد ولد ولادة الهية وقد أحب الحكمة والصلاح فاعتزل الناس وآثر أن يعيش في مكان جبلي منعزل وأن يكون طعامه الجبن و ثمار الأرض وظل هذا النبي متمسكا بإيمانه باهورامزدا رغم غواية الشيطان وأن اهورا مزدا وضع في يديه كتاب العلم والحكمة وأمره أن يعظ الناس بما جاء فيه وقد ظل هذا النبي موضع الاضطهاد والسخرية حتى أعجب به أحد الأمراء ووعد بنشر

الدين الجديد بين الشعب و بذلك ولد الدين الزردشتى و قد ثار زردشت عندما رأى آلهة بدائية تقدم لها القرابين و أعلن أنه ليس في العالم الا إله واحد هو اهورامزدا إله النور والسماء وأن غيره من الآلهة ما هي إلا صفات من صفاته ولقد اعتنق دار الأول الدين الجديد وأخذ عند توليه الملك يثير حربا شعواء على العبادات القديمة والكهنة وجعل الزردشتية هي الدين الرسمي للدولة. وكان لاهورمزود كما وصفه زردشت صفات هي النور والحق والسلطان والتقوى والخير والخلود والعقل الطيب. وقد دعت هذه الديانة كل أنسان وأهابت به أن يختار أحد الطريقين، فأما أن يملا قلبه بالخير، أو ينغمس في الشر، وسواء اتخذ الانسان هذا السبيل أم ذاك فأنه سيلاقي جزاءه ويحاسب على ما آتاه.

الفنون:

كان الفرس يعتمدون في فنونهم على البلاد الأجنبية ولقد كانوا يتذوقون الجمال وكان عندهم أثاث غالي ثمين. وقد كانت الكثرة الغالية من التماثيل أن صنع الفنانين جيء بهم من آشور وبابل وبلاد اليونان. والفن الفارسي عناصره مستعارة من خارج البلاد مثل آشور وبابل ويتضح ذلك في تيجان الأعمدة. وأبهاء الاعمدة الضخمة تدل على إنها مستمدة من الأبهاء الموجودة في مصر. وكذلك النقوش القليلة البروز.

أما عن العمارة فكان لدى الفرس طراز في خاص فيها وقد عثر على قبر دارا الأول وهو منحوت في الصخر ونقش مدخله ليمثل واجهة قصر واقيمت عند هذا المدخل اربعة اعمدة حول الباب ومن فوق الباب

رسم الاشخاص يمثلون أهل البلاد الخاضعة للفرس تحمل منصة رسم عليها الملك كأنه يعبد اهورامزودا (انظر شكل ٢٣).



(شكل ٢٣)

وأروع الأثار الفارسية هي الدرج الحجرية والاعمدة التي كشفت في برسبوليس وهذه الدرج الحجرية الخارجية العظيمة كانت توصل إلى الربوة التي شهدت عليها قصور دارا ومن جاء بعده من ملوك الفرس.

ويظن ان الفرس قد أخذوا هذا الطراز عن الدرج التي كانت توصل إلى المعابد البرجية في بابل، ولقد كانت الدرج واسعة تتسع لعشرة من راكبي الخيول أن يصعدوها جنبا إلى جنب.

أثر النزاع بين الفرس واغريق في نقل الحضارة الشرقية إلى الغرب:

كانت الحروب وسيلة من وسائل نقل الحضارة ويتضح هذا مثلا في النزاع بين الفرس والاغريق فقد اعتاد الاسكندر الأكبر في حروبه أن يصطحب العلماء والفنانين والأطباء والمهندسين من اليونان، فارتفع اليونانيون بحضارة الأمم الأجنبية التي فتحوها كما ترك اليونانيون ثقافتهم

في تلك البلاد. وقد كان للحرب بين الاغريق والفرس أثرها إذ إنها ادت إلى نقل التجارة وعملت على الاتصال بين البلدان الشرقية واليونان كما ادت إلى نقل الثقافة والحضارة من الشرق إلى بلاد اليونان.

الخاتمة

تقدير حضارة الشرق

لقد كان الشرق مهد الحضارات والمدنيات العظمى، فلقد نشأت الزراعة والحرف والصناعات والشرائع والحكومات وعلوم الرياضة والطب والهندسة والفلك. وعرفت الحروف الهجائية والكتابة واختراع الورق والخبر، ونشأت الآداب والموسيقى والنحت والعمارة، وصنع الخزف والاثاث الدقيق الجميل، ونشأت عقيدة التوحيد، واستخدمت العطور والاصباغ ومواد التجميل والحلى الخ .. ومن الشرق استمد الغرب حضارته وثقافته وذلك عن طريق كريت واليونان والرومان ويمكننا القول بأن الاندواوربيين لم يشيدوا صرح الحضارة، بل أخذوها عن مصر وبابل وأن اليونانيين ورثوا الكثير من حضارة الشرق.

انتقال الحضارة إلى الغرب:

كان انتقال الحضارة إلى الغرب عن طريق التبادل التجاري، إذ أنه علاوة على التبادل التجاري فقد كان بجانبه تبادل ثقافي يتم عن طريق الاقامة الطويلة والاختلاط، فقد استطاع العبرانيون عن طريق اقامتهم مدة من الزمن في مصر استطاعوا أن يأخذوا الكثير من الحضارة المصرية كما يتضح في الأناشيد وفي الحكم.

كما كان الآراميون حلقة اتصال بين الشرق والغرب فكانوا ينقلون

علوم الشرق وحضارة الشرق إلى اليونانيين كما نقلوا الثقافة اليونانية إلى الشرق.

وسائل الانتقال:

١- عن طريق التبادل التجاري.

٢- عن طريق الحروب والأسرى الذين يطلق سراحهم فيعودون إلى أوطانهم مشبعين بحضارة وثقافة البلاد التي كانوا فيها.

٣- عن طريق العنباء الذين يصاحبون الجيوش الفاتحة.

٤- عن طريق المؤرخين الذين يزورون البلاد المختلفة ويسجلون مشاهداتهم كما فعل هيردوت وسترابو وديودور الصقلي فاستطاعوا أن ينقلوا الكثير من حضارات الشرق إلى الغرب.

عوامل سقوط هذه الحضارات:

- الحروب الدائمة تضعف من الحضارة بل تؤدى إلى اندثارها
- التغيير الكبير في المناخ يؤدي إلى تقويض أساس المدنية.

وقد حدوث هجوم من قبل بعض القبائل غير المتحضرة عل بيئات ذات حضارة ومثال ذلك الهكسوس عندما غزوا مصر فقد توقف نمو الحضارة وحدثت فترة من الركود، ولكن بعد طرد الهكسوس من مصر بدأت مصر مرة أخرى تعود إلى نشاطها وحضارتها السابقة، وبدأ الفنان يستأنف نشاطه الفني وأخذت الحضارة المصرية تسير بخطوات كبيرة إلى الأمام حتى بلغت الذروة في عهد تمحو تمس الرابع وأمنحتب الثالث.

وكذلك كان الحال في بابل عند ما تعرضت لغزو الكاسيين حوالي سنة ٧٤٦ ق.م إذ توقف نمو الحضارة فيها.

الفهرس

الباب السادس

الباب السابع